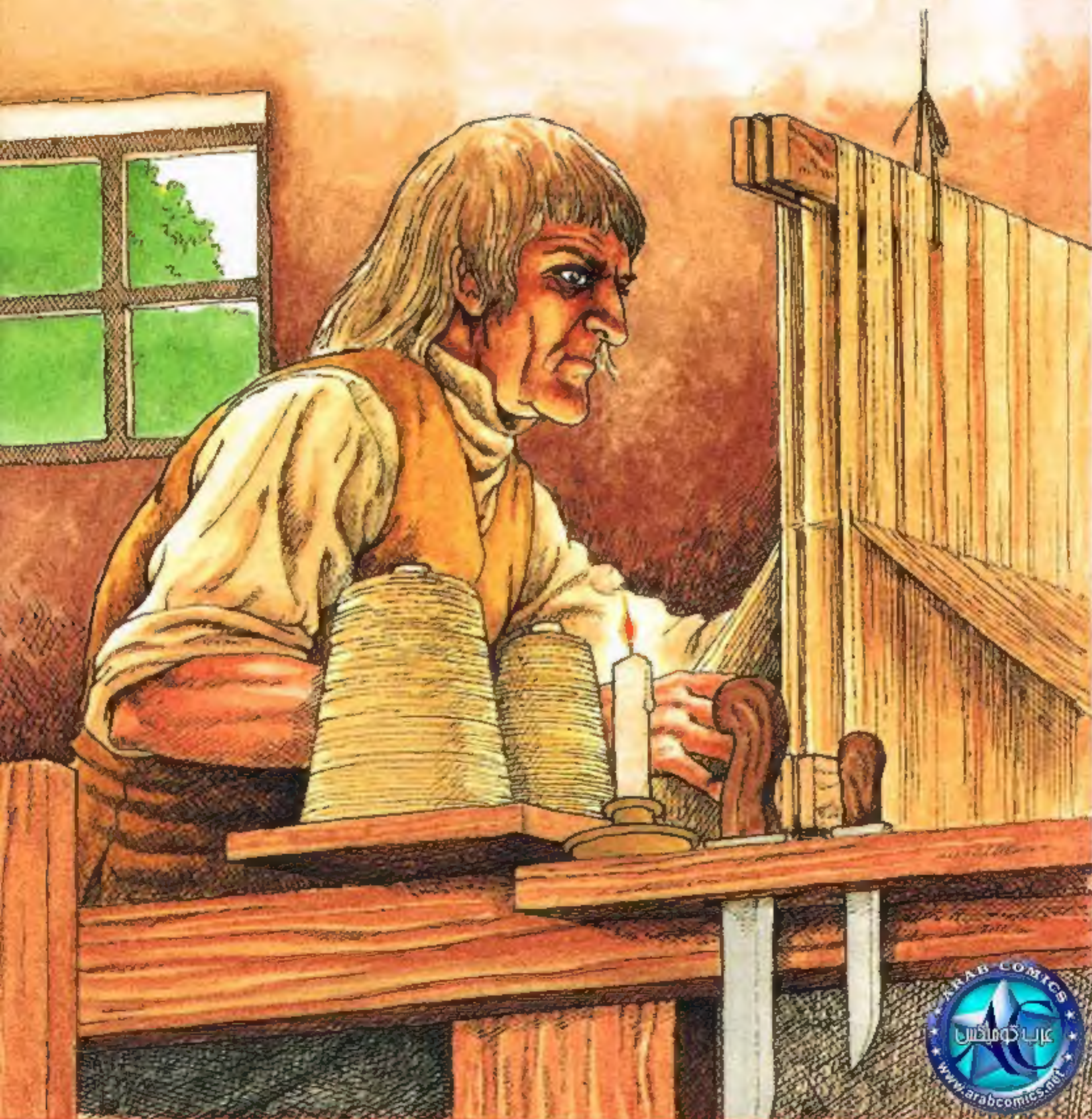


كتب الفراشة - القِصص العالمية



تانييس مائير



كتب الفراشة - القصص العالمية

سائلس مارنر



إعداد: الدكتور البير مطلق
عن قصة: جورج إليوت



مكتبة لبنات ناشرون

مَكْتَبَةُ لُبْنَانِ نَاشِرُونَ شَرِكَة

زقاق البلاط - ص.ب. : ٩٢٣٢ - ١١

بَیروت - لُبْنَان

وُكَلَاءُ وَمُوزَعُونَ فِي جَمِيعِ أَنْحَاءِ الْعَالَمِ

© الْحَقُوقُ الْكَامِلَةُ مَحْفُوظَةٌ

لِمَكْتَبَةِ لُبْنَانِ نَاشِرُونَ شَرِكَة

الطبعة الأولى ١٩٩٦

رَقْمُ الْكِتَابِ 01 C 196820

طُبِعَ فِي لُبْنَانِ



مقدمة

عندما نُشِرَ هذا الكتابُ في العام ١٨٦٠ كانت الحياةُ في إنكلترا تُمرُّ في حِقْبَةٍ مِنَ التَّغْيِيرِ الجَدْرِيِّ. فقد كانت الثورةُ الصَّناعِيَّةُ قد تَجَدَّدَتْ، وكانَ إنشاءُ المَصانِعِ والمَنَاجِمِ وِسْكَكِ الحَديدِ يَجْري على قَدَمٍ وسَاقٍ، فَيَتَقاطَرُ النَّاسُ جَماعاتٍ إلى المَراكِزِ الصَّناعِيَّةِ. وكانَ ذلكَ كُلُّهُ على حِسابِ الرِّيفِ وطَبِيعَةِ الحَياةِ فيه.

كانتِ الكاتِبَةُ جورج إليوت شديدةَ الإهتمامِ بِهَذِهِ التَّغْيِراتِ، وإنَّ سائِلَسَ مارنَر، بَطَلَ قِصَّتِهَا، يَعمَلُ نَظَرَتِها إلى هَذِهِ التَّغْيِراتِ الَّتِي رَأَتْها تَدورُ حَولَها. يُبَيِّنُ الكتابُ إِبرازًا جَلِيًّا المُفارِقَةَ بَينَ الحَياةِ القَدِيمَةِ في الرِّيفِ والحَياةِ الجَدِيدَةِ في المَدِينَةِ. المَدِينَةُ، كَمَا تُصَوِّرُها القِصَّةُ، قانِمةٌ قابِضَةٌ لِلصَّدْرِ صانِحَةٌ. إِنَّها مَكانٌ لَيْسَ فيه جَسٌّ جَماعِيٌّ، لا يَعرِفُ المَرءُ فيه إلَّا قَلَّةً مِنَ النَّاسِ. أَمَّا الحَياةُ في الرِّيفِ، في المُقابِلِ، فَهِيَ حَياةٌ سَلامٍ وَمَحَبَّةٍ واطْمِئنانٍ. والمُجْتَمَعُ هُناكَ مُتراصٌّ مُتَحابٌّ، يَعرِفُ الواحِدُ فيه كُلَّ أَهْلِ قَرِيَّتِهِ، وَيَمُدُّ يَدَ العَونِ لِلآخَرِينَ في الأوقاتِ العَصِيَّةِ.

تَمَيَّزُ الْيُوتُ فِي كِتَابِهَا بَيْنَ النَّاسِ الْعَادِيِّينَ الَّذِينَ يَمِيلُونَ بِطَبْعِهِمْ إِلَى الْمَوَدَّةِ
وَحُبِّ الْمُسَاعَدَةِ، وَإِلَى هَؤُلَاءِ يَدِينُ بَطْلُ الْقِصَّةِ سَائِلُسَ بِعَوْدَةِ الْحُبِّ وَالثِّقَةِ
بِالْإِنْسَانِ إِلَى قَلْبِهِ، وَبَيْنَ الْأَثْرِيَاءِ الَّذِينَ تَرَاهُمْ مُتَعَجِّزِينَ وَتَرَى أَنَّهُمْ مُشْغُولُونَ عَمَّا
قَدْ يُصِيبُهُمْ مِنْ بُؤْسٍ وَشَقَاءٍ.

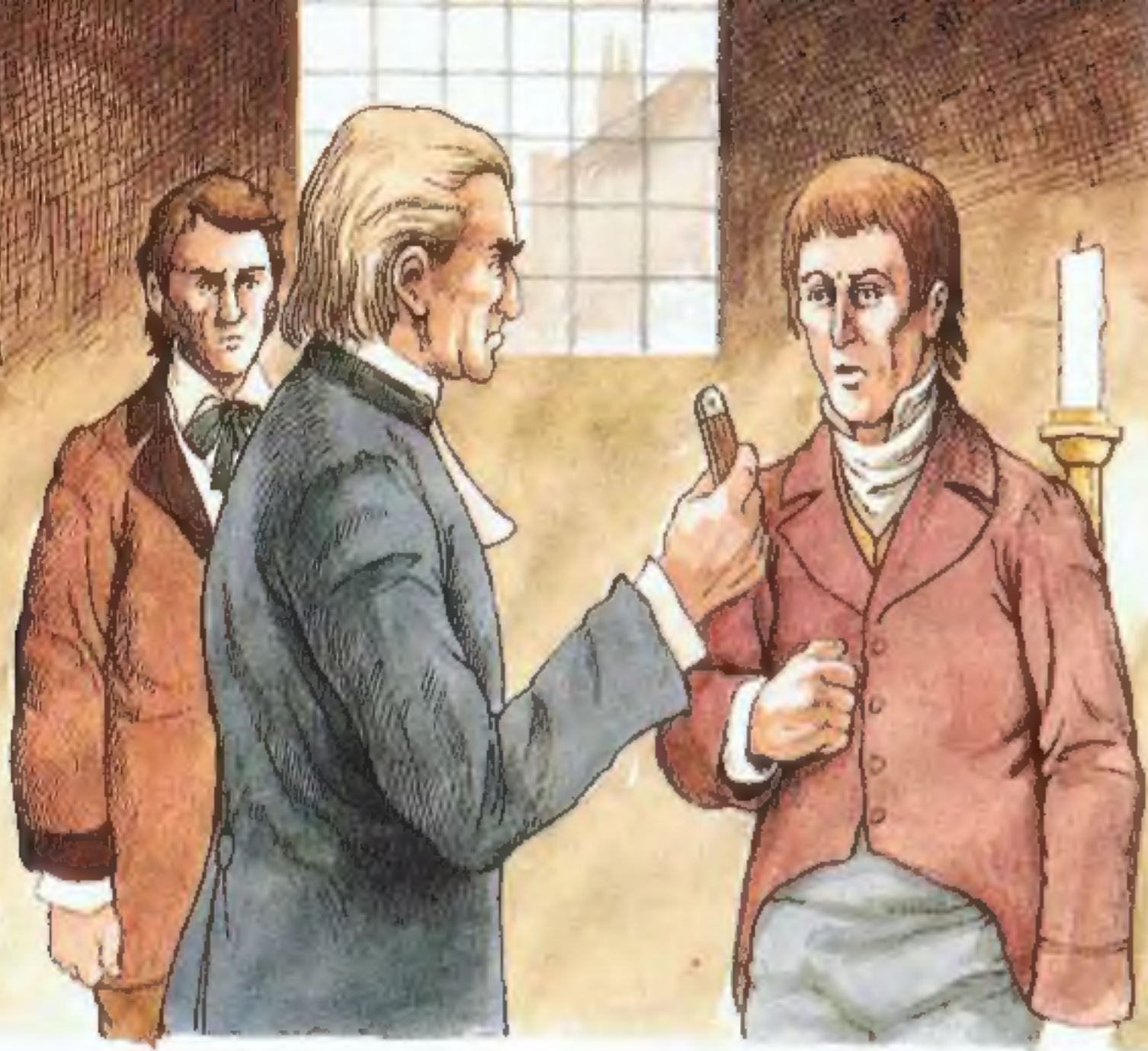
وَلَعَلَّ مَا تُرَكِّزُ عَلَيْهِ الْمُؤَلِّفَةُ مِنْ دِفْءِ الْعَلَاqَاتِ الْإِنْسَانِيَّةِ، بِمَا فِيهَا مِنْ قُوَّةٍ
عَلَى تَغْيِيرِ الْإِنْسَانِ، هُوَ الَّذِي يَجْعَلُ مِنْ كِتَابِ «سَائِلُسَ مَارْتَر» عَمَلًا أَدَبِيًّا أَثِيرًا.





في أوائل القرن التاسع عشر وصل سائلس مارنر، وكان حائك نسيج، إلى الريف ليعيش في كوخ قائم عند طرف من أطراف قرية رافلو. كان سائلس قد مر بتجربة أحرته وحملته على أن يعيش وحيداً عيشة اعتزال.

كان سائلس يعيش، في الوقت الذي مر فيه بتجربته المحزنة تلك، في مدينة مزدحمة. وكان عنده أصدقاء كثير، وأكثر من ذلك كان قد خطب صبية لطيفة وتواعد معها على الزواج في وقت غير بعيد.



قام وليم دان بالتفتيش فوجد كيس المال فارغاً ومَحْشوراً وراء
خزانة في غرفة نوم سائلس. فحضر صاحبه على أن يعترف بذنبه.
قال سائلس: «يا وليم، مرّ على صداقتنا تسع سنوات، وأنت تعلم
أني لا أكذب. الله سيظهر براءتي.»

بدا وليم غير مقتنع بما يقوله صديقه. ثم تذكر سائلس فجأة أن
الشككين لم تكن معه ليلة سهر عند سرير المَحْتَضِر. وقد سأله
المُحَقِّقون من أعضاء الجمعية عن الموضع الذي كان فيه الشككين تلك
الليلة، فلم يرد على أن قال: «لن أقول شيئاً. الله سيبرئني.»

حدث أن مريض رئيس الجمعية الخيرية، التي كان سائلس عضواً من
أعضائها، مريضاً شديداً. فذهب سائلس ذات ليلة بعوده ويُسهر إلى
جانب سريرهِ. في تلك الليلة توفي الرجل. وفي اليوم التالي، تبين أن
كيس مال الجمعية قد اختفى من المَنزِل. وسرعان ما اتهم سائلس
بالسرقة، وذهب صديقه وليم دان، وهو عضو في الجمعية عَينها، إلى
مَنزِله يدعوه إلى التحقيق. وفي أثناء التحقيق أخرج رئيس الجمعية سكين
جيب سائلس، وقال إنه وجدته حيث كان كيس المال مُحْتَباً. ذهب
سائلس وقال: «سيظهر الله براءتي. فتشوني وقتشوا مَنزلي. وليم دان
يعلم أنكم لن تجدوا عندي إلا القليل الذي ادخرته طوال هذه السنين.»

إِسْتَدْعَى أَغْضَاءَ الْجَمْعِيَّةِ الْخَيْرِيَّةِ سَائِلِسَ إِلَى اجْتِمَاعٍ آخَرَ. قَالَ أَمِينُ
سِرِّ الْجَمْعِيَّةِ إِنَّ الْأَغْضَاءَ سَيُذْلَوْنَ بِآرَائِهِمْ حَوْلَ بَرَاءَةِ سَائِلِسَ أَوْ عَدَمِ
بَرَاءَتِهِ فِي اقْتِرَاعِ سِرِّيٍّ. وَجَاءَتْ نَتِيجَةُ الْإِقْتِرَاعِ فِي غَيْرِ صَالِحِهِ، فَقَدْ
اَتَّهَمَتْهُ كَثْرَةُ الْأَغْضَاءِ بِسَرِقَةِ كَيْسِ الْمَالِ. وَقَفَ أَمِينُ السِّرِّ عِنْدَئِذٍ، وَقَالَ:
«إِذَا لَمْ تُقَرَّرْ بِذَنْبِكَ وَتُعَذِّبْ كَيْسَ الْمَالِ فِي الْحَالِ، فَأَنْتَ مَفْصُولٌ مِنْ
هَذِهِ الْجَمْعِيَّةِ الْمُؤَقَّرَةِ.»

وَقَفَ سَائِلِسَ عِنْدَئِذٍ وَمَشَى إِلَى وَلِيمِ دَانَ وَقَالَ لَهُ: «آخِرَ مَرَّةٍ
اسْتَخْدَمْتُ فِيهَا هَذَا الشَّكِينَ كُنْتُ فِي مَثَرِكَ. لَا أَذْكُرُ أَنِّي أَعَدْتُهَا إِلَى
جَنِبِي. أَنْتَ سَرَقْتَ كَيْسَ الْمَالِ، وَدَبَّرْتَ لِي مَكِيدَةً تُوقِعُنِي فِيهَا.»
قَالَ وَلِيمُ بِخُبْرٍ: «لَيْسَ عِنْدِي إِلَّا أَنْ أَدْعُو اللَّهَ أَنْ يَهْدِيكَ.»

تَرَكَ سَائِلِسَ الْمُسْكِينَ الْاجْتِمَاعَ فِي يَأْسٍ وَمَذَلَّةٍ، وَقَدْ تَرَعَّرَعَتْ ثِقَتُهُ
بِمَحَبَّةِ الْإِنْسَانِ لِأَخِيهِ الْإِنْسَانِ. ذَهَبَ إِلَى مَثَرِيهِ، وَأَقْفَلَ الْبَابَ عَلَى
نَفْسِهِ لَا يُرِيدُ أَنْ يُكَلِّمَ أَحَدًا. وَفِي الْيَوْمِ التَّالِي عَادَ يَسْتَأْنِفُ عَمَلَهُ. لَكِنَّ
وَاحِدًا مِنْ أَغْضَاءِ الْجَمْعِيَّةِ جَاءَهُ بِرِسَالَةٍ مِنْ خَطِيبِهِ يَقُولُ فِيهَا إِنَّهَا تَفْسُخُ
الْخِطْبَةَ. وَبَعْدَ نَحْوِ شَهْرٍ فَقَطُ تَزَوَّجَتِ الصَّبِيَّةُ مِنْ وَلِيمِ دَانَ. أَذْرَكَ
سَائِلِسَ عِنْدَئِذٍ السَّبَبَ الَّذِي جَعَلَ صَدِيقَهُ السَّابِقَ يَخُونُ عَهْدَ الصَّدَاقَةِ.
فَلَمْ يَحْتَمِلْ ذَلِكَ، وَغَادَرَ الْمَدِينَةَ بِقَلْبٍ مُثْقَلٍ. كَانَ إِيمَانُهُ بِمَحَبَّةِ
الْإِنْسَانِ قَدْ تَرَعَّرَعَ، وَهُوَ إِيمَانٌ كَانَ يَمْنَحُهُ دَائِمًا الْقُوَّةُ وَالْإِطْمِئْنَانُ،
وَبَدَأَ لَهُ أَنَّ حَيَاتَهُ قَدْ تَغَيَّرَتْ وَأَنَّهُ لَنْ يَشْعُرَ بِمِثْلِ تِلْكَ الْقُوَّةِ أَوْ ذَلِكَ
الْإِطْمِئْنَانِ بَعْدَ الْيَوْمِ.





كَانَ الْقَرْوِيُّونَ مِنْ أَهْلِ رَافِلُو يَخْتَلِفُونَ كُلَّ الْإِخْتِلَافِ عَنْ سُكَّانِ
الْمَدِينَةِ الَّتِي هَجَرَهَا سَابِلَسُ. فَقَدْ كَانُوا يَعِيشُونَ عَيْشَةً دَعَةً وَاطْمِئْنَانٍ،
وَكَانَتْ أَرْضُهُمْ طَيِّبَةً خَيْرَةً.
نَصَبَ سَابِلَسُ نَوْلَهُ وَرَاحَ يُجْهِدُ نَفْسَهُ بِالْعَمَلِ، مُسْتَعْرِقًا فِيهِ بِكُلِّ
جَوَارِحِهِ. كَانَ يَنْسِجُ لِنِسَاءِ الْقَرْيَةِ الْأَعْيِشَةَ الْكَثَائِفَةَ وَيَتَقَاضَى لِقَاءَ ذَلِكَ
ذَهَبًا. أَمَّا فِي الْمَدِينَةِ حَيْثُ كَانَ يَعْمَلُ مِنْ قَبْلُ، فَقَدْ كَانَ يَتَقَاضَى رَاتِبًا
أُسْبُوعِيًّا زَهِيدًا، يَذْهَبُ جُلُّهُ إِلَى الْفُقَرَاءِ وَالْمُحْتَاجِينَ. لَقَدْ وَجَدَ الْآنَ
مُنْعَةً فِي اقْتِنَاءِ الذَّهَبِ وَتَقْلِيلِ قِطْعَةِ الْبَرَّاقَةِ بَيْنَ يَدَيْهِ.



حَرَصَ سَابِلَسُ عَلَى أَنْ يَتَّعِدَ عَنْ أَهْلِ الْقَرْيَةِ، وَلَمْ يُحَاولْ أَنْ يَتَعَرَّفَ
إِلَى أَيِّ مِنْهُمْ. أَمَّا هُمْ فَقَدْ كَانُوا يَرْتَابُونَ بِالْغُرَبَاءِ، وَكَانُوا يَخْشَوْنَ
سَابِلَسَ، وَيَخْشَوْنَ خُصُوصًا نَوْلَهُ الَّذِي بَدَأَ لَهُمْ مُسْتَعْرِبًا. وَقَدْ دَابَّ
الْأَوْلَادُ عَلَى اسْتِزَاقِ النَّظَرِ إِلَى نَوْلِهِ مِنْ خِلَالِ الشُّبَّانِ، لَكِنَّهُمْ كَانُوا
يُسْرِعُونَ إِلَى الْفِرَارِ إِذَا التَّقَتْ إِلَيْهِمْ أَوْ إِذَا فَتَحَ بَابَ مَنْزِلِهِ اتِّفَاقًا. لَمْ
يَكُونُوا يَعْلَمُونَ أَنَّ عَمَلَهُ عَلَى النَّوْلِ لَيْلًا وَنَهَارًا قَدْ أَوْضَعَفَ بَصَرَهُ، وَأَنَّهُ
كَانَ إِذَا وَقَعَ بَصَرُهُ عَلَيْهِمْ يَكَادُ لَا يَرَاهُمْ.

حَدَّثَ مَا جَعَلَ الْقَرَوِيِّينَ يَزْدَادُونَ نَجَبًا سَائِسَ وَغَجًا مَه. فَقَدْ اتَّفَقَ
أَنْ رَأَاهُ صَيَّادُ الْخُلْدَانِ جَمِ رُذْنِي يَشْبِدُ إِلَى سِيحٍ وَيَحْمِلُ عَلَى ظَهْرِهِ
كَيْسًا. لَكِنَّهُ بَدَأَ مُتَضَبِّبًا انْقَسَمَتِ عَيْنُهُ عَنِ تَوَعُّي. قَالَ جَمِ إِنَّهُ خَاصِبٌ
سَائِسَ مَه يَحْطُ بِجَوَابٍ وَهَرَّةٍ وَلَكِنْ عَلَى غَيْرِ طَائِلٍ.

ثُمَّ إِنَّ سَائِسَ صَحَا فَجَاءَهُ مِنْ عَيْبَرِيَّةٍ وَزَيْدُهُ تَصَبَّبُ قَسَمَانِهِ. وَتَحْتَمَهُ
مَحْيِيًا وَمَضَى. لَمْ يَكُنْ جَمِ يُبْعَثُ أَنْ مِثْلَ تِلْكَ التَّوْبَاتِ كَانَتْ تُلَازِمُ
سَائِسَ مُنْذُ أَنْ كَانَ صُفْلًا.

مِمَّا زَادَ فِي جَوْزِ الْغَمُوضِ الَّذِي يُحِيطُ بِهِ أَنَّهُ كَانَ ذَا مَعْرِفَةٍ بِمَا لِيَبْعُضِ
الْأَغْشَابِ الطَّبِيَّةِ مِنْ أَثَرٍ فِي شِفَاءِ بَعْضِ الْأَمْرَاضِ. وَقَدْ وَصَفَ يَوْمًا دَوَاءً
عُشْبِيًّا لِزَوْجَةِ إِسْكَافِي الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تُعَانِي مِنْ عِلَّةٍ فِي قَبْلِهَا فَتَحَسَّنَتْ
حَالُهَا.

وَلَمَّا رَأَى الْقَرَوِيُّونَ مَا كَانَ مِنْ نَتِيجَةِ عِلاجِهِ. رَاحُوا يُلَاحِظُونَهُ
طَائِلِينَ مِنْهُ أَنْ يَشْفِيَهُمْ مِنْ أَمْرَاضٍ مُسْتَعْصِيَةٍ. وَوَعْدِينَ أَنْ يُجْزِلُوا لَهُ.
لِقَاءَ ذَلِكَ. الْعَطَاءُ.

لَكِنْ سَائِسَ بِأَمَانَتِهِ الْمُعْهُودَةِ لَمْ يَشَأْ أَنْ يَخْدَعَهُمْ وَيَأْخُذَ مَا لَهُمْ. وَقَدْ
أَسَاءَ الْقَرَوِيُّونَ فَهَمَّ امْتِنَاعُهُ عَنْ بَعْضِ أَمْرَاضِ الْأَغْشَابِ الَّتِي يَطْلُبُونَ، فَضَنُّوا
أَنَّهُ فَعَلَ ذَلِكَ لِعَدَمِ رَغْبَتِهِ فِي مُسَاعَدَتِهِمْ، فَازْدَادُوا نُفُورًا مِنْهُ. حَتَّى
الْأَطْفَالُ كَانُوا يَتَجَنَّبُونَهُ. وَعَلَى الْإِثْرِ مِنْ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ قَدْ بَلَغَ الْأَرْبَعِينَ
مِنْ عُمُرِهِ بَعْدُ. فَقَدْ كَانُوا يُسَمُّونَهُ «سَائِسَ الْعَجُوزِ».



كَانَ مُقَدَّرًا أَنْ يَخْذُلَ فِي حَيَاةِ سَائِلِسَ تَغْيِيرٌ مُفْاجِئٌ. وَكَانَ مُقَدَّرًا
لِذَلِكَ التَّغْيِيرِ أَنْ يُقَرَّبَ سَائِلِسَ مِنْ جِيرَانِهِ وَأَنْ يُعِيدَ إِلَيْهِ بَقِيَّةَ الْمَقْشُودَةِ
بِشِي الْمَشْرِ.



هَكَذَا، كَانَ سَائِلِسَ يَزْدَادُ يَوْمًا بَعْدَ يَوْمٍ اسْتِعْرَاقًا فِي عَمَلِهِ. وَبِرْدَادِ
بَصْرِهِ ضَعْفًا. كَمَا كَانَ يَزْدَادُ تَعَلُّقًا بِمَالِهِ. وَيَضْرِبُ أُمُوسِيَّةَ بِقَلْبِ قِطْعَةٍ
لِلذَّهَبِ الَّتِي كَانَتْ تَتْرَبِدُ يَوْمًا بَعْدَ يَوْمٍ. وَقَدْ أَعَدَّ لِلذَّهَبِ مَكَانًا آمِنًا
يُخْفِيهِ فِيهِ. فَقَدْ نَزَعَ مِنْ أَرْضِ الْمَشْرِ حَجَرَيْنِ وَحُفِرَ خُفْرَةٌ تَسْعُ
كَيْسَيْنِ كَبِيرَيْنِ يَضَعُ فِيهِمَا ذَهَبَهُ. وَكَانَ إِذَا انْتَهَى كُلَّ لَيْلَةٍ مِنْ تَقْلِبِ
دَهَبِهِ، أَعَدَّ الْكَيْسَيْنِ إِلَى مَحْبَتِهِمَا وَعَطَاةِمَا بِالْحَجَرَيْنِ. لَمْ يَغْدُ سَائِلِسَ
يُفَكِّرُ إِلَّا بِذَهَبِهِ وَبَوَيْهِ. لَمْ يَغْدُ يُفَكِّرُ إِلَّا بِهِمَا حَتَّى فِي أَسَاءِ انْتِقَالِهِ فِي
الْحُقُولِ حَامِلًا الْمَسْجُوجَاتِ الَّتِي حَاكَهَا إِلَى أَصْحَابِهَا.



كَانَ السَّيِّدُ كَسْ نَبِيلاً مِنْ بُلَاءِ الْبِلَادِ. كَانَ يَعِيشُ فِي مَنْزِلٍ وَاسِعٍ
فِي وَسْطِ قَرْيَةٍ رَفُودٍ. وَكَانَ ذَا مُمْتَلِكَةٍ وَمَنْزِلٍ يُوجِرُهُ لِنَعَضِ
الْمُزَارِعِينَ.

كَانَتْ زَوْجَتُهُ قَدْ تَوَقَّيْتُ قُلَّ سَوْتٍ. وَتَشَجَّ عَنْ ذَلِكَ أَنَّ أَهْمَالَ
الْعِنَايَةِ بِمَنْزِلِهِ وَتَرْبِيَةِ وَلَدَيْهِ. غَوْدَفَرِي وَدَانَشْ. وَقَدْ نَشَأَ الْأَصْغَرُ دَانَشْ
نَشَأَةً خَدِمَةً. وَكَانَ عَرَبِيْدًا بَغِيضًا ذَا نَحْسٍ أَقْدَرَهُ بِالسَّوَةِ. مِمَّا الْأَكْثَرُ
غَوْدَفَرِي فَقَدْ كَانَ وَدِيْعًا لَصِيْفًا. فَحَبَّه النَّاسُ وَأَسْعَدَتْهُ أَنَّ يَكُونَ هُوَ
وَارِثَ أَبِيهِ. وَتَمَنَّوْا إِلَّا يُضَيِّعَ فُرْصَةَ الزَّوْاجِ مِنَ النِّصْبَةِ الْحَسَنَةِ نَائِسِي.
ابْنَةُ أَحَدِ الْمُزَارِعِينَ. غَيْرَ أَنَّ عُظْمَ أُمِّيَّتِهِمْ كَانَتْ لَا يُحَاكِي فِي يَوْمٍ
مِنَ الْأَيَّامِ شَقِيْقَةَ الْبَغِيضِ دَانَشْ.

فِي أَحَدِ الْأَيَّامِ. وَقَفَ غَوْدَفَرِي فِي الْبَيْتِ أَخِيهِ الْأَصْغَرَ. وَقَدْ بَدَأَ
عَلَيْهِ شَيْءٌ بِالْعُ. ثُمَّ سَمِعَ خُطَوَاتِ أَخِيهِ فَاسْتَدَارَ يُوَاجِهُهُ.

بَدَأَ دَانَشْ الْحَدِيثَ. فَقَالَ بِهَيْجَةٍ سَاخِرَةٍ: «مَذَا يُرِيدُ مِنِّي السَّيِّدُ
غَوْدَفَرِي؟»

قَالَ غَوْدَفَرِي بِخَزَمٍ: «إِفْتَحِ أذُنَيْكَ جَيِّدًا يَا دَانَشْ. عَلَيَّ أَنَّ تُعْطِيَ
أَبِي أَجُورَ الْمُزَارِعِينَ الَّتِي أَخَذَتْهَا مِنِّي. أَوْضَحَ لِي أَبِي أَنَّهُ سَيَقَاضِي
الْمُزَارِعِينَ هَذِهِ الْمَرَّةَ إِذَا لَمْ يَسْتَيْمِ مِنْهُمْ أَجُورَهُمْ وَلَمْ أَخْبِرْهُ أَنَّ
الْمُزَارِعِينَ قَدْ دَفَعُوا وَأَنَّكَ أَنْتَ الَّذِي أَخَذْتَ الْمَالَ. لَوْ عَلِمَ أَنَّكَ أَخَذْتَ
الْمَزِيْدَ مِنْ مَالِهِ. فَلَا شَكَّ أَنَّهُ سَيَقْبِضُ هَذِهِ الْمَرَّةَ وَعَيْدَهُ وَيَطْرُدُكَ مِنَ
الْبَيْتِ



بِتَسْمَةِ دَانِسْتَن ابْتِسَامَةً مُسْتَهْزِئَةً. وَقَالَ: «أَنْتَ مُخْطِئٌ، فَلَا يَمْنَعُنِي
مِنْ أَنْ أَفْضَحَ أَمْرَكَ أَمَامَ أَبِي غَيْرُ قَسِيٍّ نَصِيبٍ. مَا الَّذِي سَيَقُولُهُ أَبِي إِذَا
عَلِمَ أَنَّكَ مُتَرَوِّحٌ سِرًّا مِنْ بِنْتِ الْخُرَّاقَةِ الْمُتَدِمَةِ مَوْلِي؟ ذَلِكَ سَيُحْزِنُهُ كَثِيرًا
وَيُغْضِبُهُ. أَحْسَبُ أَنَّهُ سَيَحْرِمُكَ عِنْدَهَا مِنْ نُحِيرِثٍ. فَعَجِّلْ وَادْفَعْ مِنْ
حَيْثُ أَجُورَ الْمُزَارِعِينَ.

- أَنْتَ تَرْتَكِبُ الْحَقَاقَتِ وَأَنْ أَدْفَعُ ثَمَنَهَا؟

- بَلْ تَدْفَعُ ثَمَنَ سُكُوتِي عَلَى سِرِّكَ!

بَدَأَ الْيَأْسُ عَلَى غُودْفَرِي. ثُمَّ قَالَ: مِنْ أَيُّنَ آتِي بِأَمَالٍ؟

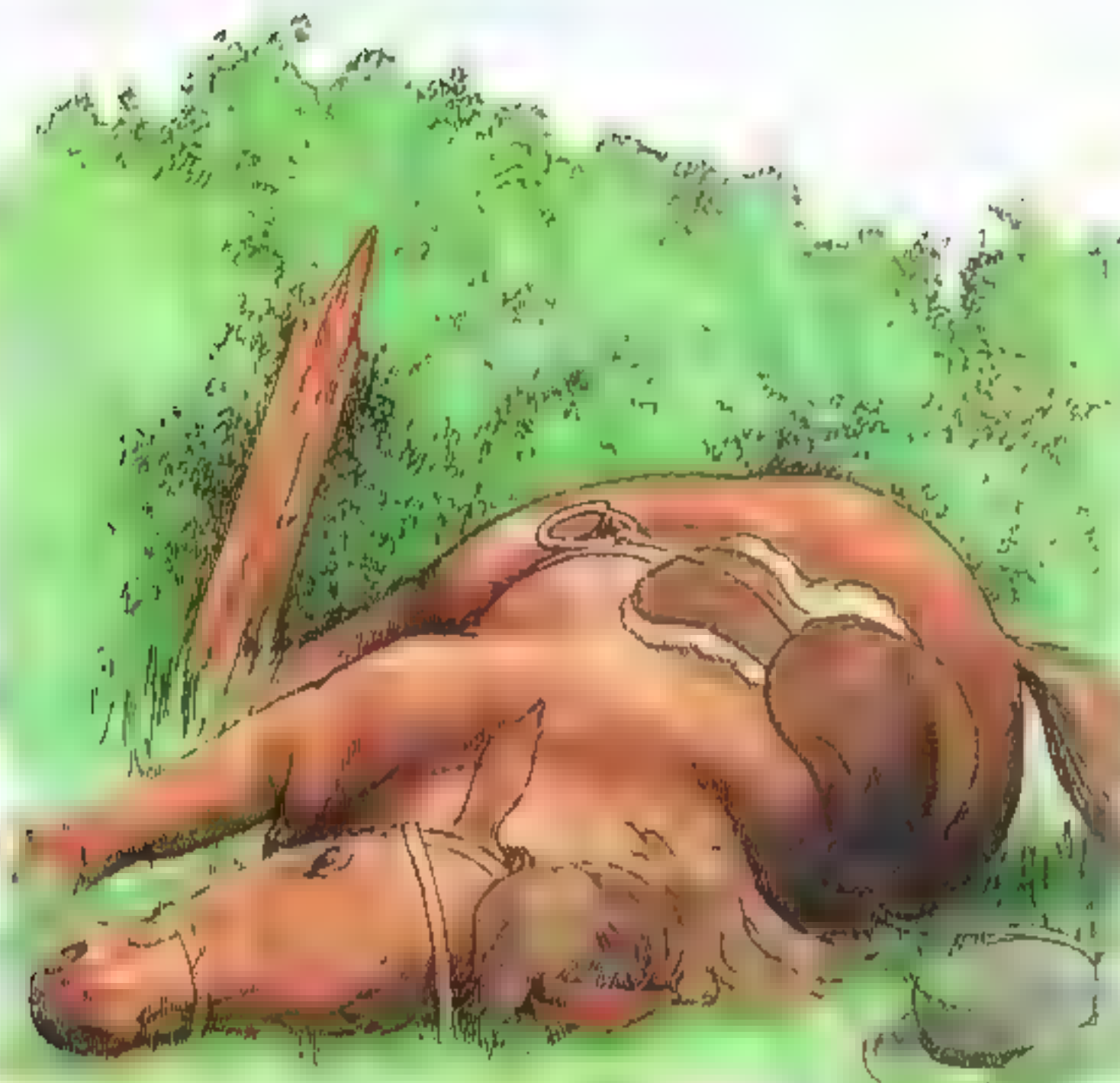
بَعِ حِصَانَكَ! إِنَّهُ حِصَانٌ أَصِيلٌ. ثَمَنُهُ يُغْضِي أَجُورَ الْمُزَارِعِينَ الَّتِي
أَخَذْتُهَا. مَا عَلَيْكَ إِلَّا أَنْ تُسَلِّمَنِي الْحِصَانَ فَادْهَبْ بِهِ غَدًا إِلَى الصَّيِّدِ.
هَذَاكَ سَيَلْتَقِينِي مَنْ يَغْرِضُ عَنِّي شِرَاءَهُ.

أَحْسَنُ غُودْفَرِي بِمَرَارَةِ بَدِيعَةٍ وَنَظَرَ إِلَى أَخِيهِ نَظْرَةً اخْتِقَارٍ. كَانَ
حِصَانُهُ عَزِيزًا جَدًّا عَلَى قَلْبِهِ. لَكِنَّهُ كَانَ يَخَافُ أَنْ يَعْرِفَ أَبُوهُ بِزَوَاجِهِ مِنْ
مَوْلِي. كَانَتْ مَوْلِي فَتًى جَمِيلَةً. لَكِنَّهَا وَقَعَتْ فِي شَرِّكَ الْإِدْمَانِ. وَحَتَّى
هِيَ رَاحَتْ تُهَدِّدُ غُودْفَرِي بِكُشْفِ أَمْرِ زَوَاجِهَا مِنْهُ أَمَامَ أَبِيهِ. كَانَ
غُودْفَرِي يَائِسًا. وَلَمْ يَجِدْ بُدًّا مِنْ أَنْ يَخْضَعَ لِطَلَبِ أَخِيهِ دَانِسْتَن،
فَتَسْمَهُ الْحِصَانَ.

قَادَ دَانِسْتَنَ حِصَانَهُ أَخِيهِ وَقَدْ بَدَأَتْ عَلَى وَجْهِهِ عِلَامَةُ انْتِصَارٍ.

فِي الْيَوْمِ الْتَّالِي بَكَرَ دَانِشْتَن كَاسَ فِي التَّوَجُّهِ إِلَى الصَّيْدِ. مَرَّ فِي
صَرِيقِهِ بِكَوْخِ سَائِنَس مَارْتَر. فَخَطَرَ لَهُ أَنَّ ذَلِكَ الْحَرِثَ الْعَجُوزَ لَا بُدَّ
يُخَبِّئُ فِي مَكَانٍ مَا مَبْلَغًا كَبِيرًا مِنَ الْمَالِ. وَأَنَّهُ لَنْ يَضْعُبَ عَلَى غُودْفَرِي
أَنْ يَتَشَرَّضَ مِنْهُ الْمَا الْمُصْلُوبَ إِقْدَاعًا أَوْ إِزْهَابًا. لَكِنَّهُ أَبْعَدَ عَنْ هَذِهِ
الْخَوَاطِرَ وَتَابَعَ طَرِيقَهُ.





كان دانستن مثلهاما للحاق بالفرسان، فقفز فوق سياج عالٍ قفزةً
منهورةً، وكان أن وقع الجواد على خشب السياج وهلك.

لم يضرب دانستن بأذى. تلقت حوله فلم يجد أحدًا قريبًا منه يشهد
على ما حدث. بدا عليه الإطمئنان، فنفض ثيابه ومشى وشط غلالة من
ضارب. وفي يديه سوط غودوري الذي يحمل اسمه منقوشًا على
سحبه لذهبية.



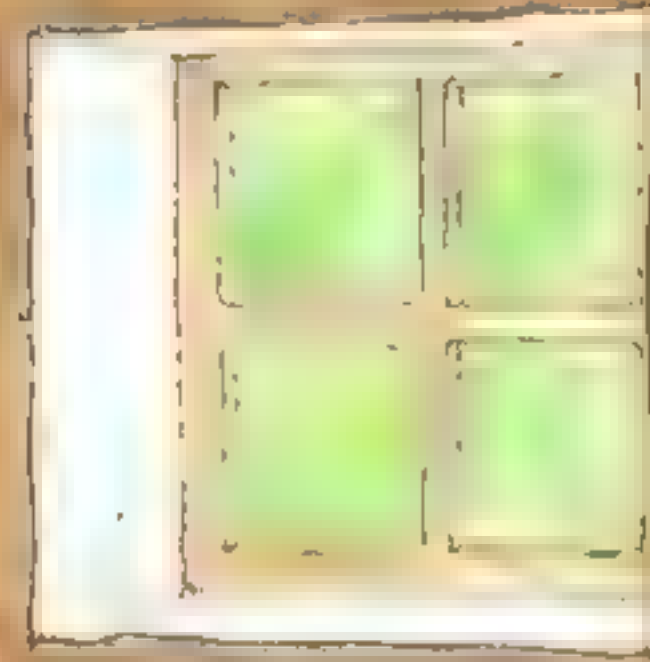
لم يجد دانستن صعوبة في بيع الحصان سجع بريدًا عتًا هو
مطلوب ولكن كان عليه أن يقود الحصان إلى سطل الشاري حيث
يتلقى هناك ثمنه. رأى دانستن في ذلك فرصة يستغل فيها نفسه بركوب
ذلك الجواد الرائع، فعزم على أن يشترك في الصيد. وسرعان ما وجد
نفسه في مقدمة الفرسان، يقطع معهم الوهاد والآكام ويقفز فوق
الأسبجة والخواجز. على أنه وجد نفسه بعد حين يأخر عنهم. فقد
اضطر إلى التوقف ليصحح وضع ركابه.

يَتَسَا كَانَ دَانَسْ يَمْشِي فِي السَّرِّيَّةِ عَادَ إِلَيْهِ حَاطِرُ الْمَالِ الَّذِي لَا يَدُ
أَنَّ الْحَائِكَ يُحِبُّهُ. لَمَحَ وَشَطَ الظَّلَامُ بِصَبَا مِنْ بَوْرِ. فَهَدَرَ أَنَّهُ صَادِرٌ
عَنِ الْكُوحِ. إِنَّجَةً صَوْنَهُ. وَقَدْ عَزَمَ عَلَى أَنْ يَصْطَبَ مِنْ صَاحِبِ الْكُوحِ
قَبْدِيلًا يُسَاعِدُهُ عَلَى اخْتِيَارِ السَّرِّيَّةِ. وَلَعَنَهُ يَقْبَعُهُ أَيْضًا بَأَنَّ يَقْرَضَهُ بَعْضَ مَا
يُحِبُّهُ مِنْ مَالٍ.

وَصَلَ إِلَى الْكُوحِ وَقَرَعَ الْبَابَ بِمُسْكَةٍ السُّوْطِ قَرْعًا شَدِيدًا لَكِنْ لَمْ
يَتَلَقَّ حَوَابًا. فَقَرَعَ مَرَّةً أُخْرَى. وَلَمَّا لَمْ يَتَلَقَّ هَذِهِ الْمَرَّةَ أَيْضًا حَوَابًا. دَفَعَ
الْبَابَ فَانْفَتَحَ كَانَ الْكُوحُ مُضَاءً وَنَارُ الْمُوقِدِ مُسْتَعِيرَةً. وَلَكِنْ لَمْ يَكُنْ
فِي الْكُوحِ أَحَدٌ.

دَارَتِ الْأَفْكَارُ فِي رَأْسِ دَانَسْتَنْ، ثُمَّ قَالَ فِي نَفْسِهِ: «لَعَنَ الْحَائِكَ
مَعَ بَيْنِ الصُّخُورِ وَمَاتَ. فَعَزَمَ عَلَى أَنْ يُقَشِّرَ الْكُوحَ فَتَشَّ أَوَّلًا فِي
سَرِيرِهِ. ثُمَّ رَاحَ يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ عَنْ حُفْرَةٍ أَوْ أَثَرٍ لِمَخْتَبَأٍ.

رَأَى إِلَى جَانِبِ الثُّولِ أَثَرًا أَذْرَكَ مِنْ قَوْرِهِ أَنَّهُ هُوَ مَا يَبْحَثُ عَنْهُ. فَقَدْ
الرَّمْلُ الَّذِي يُعْطَى الْأَرْضُ فِي تِلْكَ الْبُقْعَةِ وَكَأَنَّمَا عَشَتْ بِهِ يَدٌ. أَرَاخَ
مِلَ وَرَفَعَ حَجَرَيْنِ. فَإِذَا أَمَامَهُ كَيْسَانِ جِلْدِيَانِ يَحْوِيَانِ ذَهَبًا. رَفَعَ
كَيْسَيْنِ، وَأَعَادَ الْحَجَرَيْنِ إِلَى مَوْضِعِهِمَا وَعَادَ فَعَطَاهُمَا بِالرَّمْلِ. ثُمَّ
سَلَّ كَيْسِي الذَّهَبِ وَالسُّوْطَ وَخَرَجَ يَمْشِي فِي الصَّلَامِ.



و هي لا تحضت حتى كن نحيث قد عاد إلى منزله . يحمل كيس
من الخيوط . استعدادا لعمل يوم لثاني .

كان مضطربا . لا يسوزد شيئا . وضع كيسه وطاقيته جيب
وحسن أمه تدار يستدعي . رأى بعد هنيهة أن يضع ذهنه على مائدة
الطعام أمامه لينصت نظرة به في ثناء شؤبه لعملاء . نهض ووضع شمعته
إلى جيب ثوبه . وأراح الثوم ورفع الحجرين . فإذا مخبئة فارغة .

لم يصدق عينيه . راح يستنفض ينفذ عينا . ويتحسس يديه
الائتني دجل تحفة وحرية .

لقد ذهب شيء الوحيد في هذه الدنيا الذي يجد فيه الراحة
والإطمئنان . وضع يديه لترتجفت على رأسه وصرح صرخة مدوية
منجعة .

ثم لمع في رأسه خبر . إذا وقع نص في يد العدالة فسوف يعود
ذهبه إليه . راح يستعرض في مخبئته الأشخاص الذين يعرفهم واحدا
واحدا .

فحاة مثل أمه مخبئته جم رذني . صياد الخلدان فقد كان جم
يتردد على الحقول . وقد سأل سايس مرة عن الثروة التي لا تدا أنه
جمعها . فغرم سايس على أن يمضي من قوره إلى القرية ليشبع عن
لشركة . ولا شك أنه سيجد العون عند العمدة أو المخفر أو النيب
كس . إن دفع حرجا من كوخه ومضى في ضلام مخدأ باب مفتوح .





كَانَ نَفَرٌ مِنَ الْقُرَوِيِّينَ قَدِ اتَّقَوْا فِي خَانِ الْقَرْيَةِ يَتَجَادُونَ أَطْرَافَ
الْحَدِيثِ. جَاؤُوا عَلَى ذِكْرِ الْأَشْبَاحِ، وَبَيْنَمَا هُمْ فِي حَدِيثِهِمْ دَخَلَ
عَلَيْهِمْ سَائِسٌ. وَكَانَ سَاحِبَ الْوَحْيِ شُحُوبَ الْأَمْوَاتِ. زَائِعَ الْبَصَرِ.
لَا يَقْوَى عَلَى الْكَلَامِ. فَبَدَأَ لَهُمْ وَكَانَ شَبَّاحٌ مِنْ تِلْكَ الْأَشْبَاحِ الَّتِي
كَانُوا يَرْوُونَ حِكَايَتَهَا. وَتَذَكَّرُوا مَا كَانَ يُرَوَى عَنْهُ هُوَ أَيْضًا مِنْ
حِكَايَاتِ.

كَانَ صَاحِبُ الْخَانِ أَوَّلَ مَنْ صَحَا مِنْ ذُهُولِهِ. فَتَقَدَّمَ بِهِ بِهَيْئَةٍ
وَدَّيَّةٍ. وَقَالَ لَهُ: مَا بِكَ؟ مَا الَّذِي جَاءَ بِكَ؟

صَاحَ سَائِلَسَ بِصَوْتٍ مُخْتَلِفٍ: «سَرَقُونِي! سَرَقُونِي! أُرِيدُ عَوْنَ
لِمُخَفِّرٍ. وَلِعُمْدَةٍ. وَلِنَبِيلٍ كَاسٍ!»

بَدَأَ سَائِلَسَ وَكَأَنَّهُ يَهْدِرُ. فَضَنَّ صَاحِبُ الْخَانِ أَنَّ الرَّجُلَ فَقَدَ عَقْلَهُ.
كَانَ سَائِلَسَ يَتَطَّعُ بِذُعُرٍ فِي وَجْهِهِ تُقَرِّوْنَ قِرَاىَ أُمَمَةٍ جَمِ رُدْنِي
مَدَّ يَدَيْهِ. وَقَالَ مُتَوَسِّلًا: إِنْ كُنْتَ أَنْتَ الَّذِي سَرَقْتَ مَالِي، رُدَّهُ إِلَيَّ
وَلَنْ أَتَقِمَ عَلَيْكَ. رُدَّ إِلَيَّ مَالِي فَأَعْطَيْكَ جُنَيْهَا ذَهَبِيًّا.»

أَغْضَبَتْ هَذِهِ التُّهْمَةُ صَيِّدَ الْخُنْدِ بِغَضَابٍ شَدِيدٍ. فَاسْرَعَ صَاحِبُ
الْخَانِ يُصْبِحُ لِحَالٍ. وَأَمْسَكَ سَائِلَسَ مِنْ كَتِفِهِ. وَقَالَ لَهُ:

«إِجِشْ وَاشْرَحْ لَنَا بِهَدْوٍ مَا جَرَى. وَجَفَّفْ فِي هَذِهِ الْأَثْنَاءِ ثِيَابَكَ.
فَإِنَّكَ تُشْبِهُ فِي هَيْئَتِكَ هَذِهِ جُرْدًا غَرِيقًا. الْآنَ احْكِرْ لَكَ مَا عِنْدَكَ!»

جَلَسَ سَائِلَسَ بِحِوَارِ النَّارِ وَرَوَى حِكَايَتَهُ. فَشَفَقَتِ الْحَمَاعَةُ عَلَى ذَلِكَ
الرَّجُلِ الْغَرِيبِ الْأُصُولِ الضَّعِيفِ الْبَصِيرِ. وَوَجَدَ سَائِلَسَ مِنْ نَاحِيَةِ شَيْءٍ مِنَ
الْعَزَاءِ فِيمَا أُبْدُوهُ مِنْ تَعَاطُفٍ. ثُمَّ تَذَكَّرَ فَجَاءَهُ أَنَّهُ تَعَرَّضَ هُوَ نَفْسُهُ فِي مَا
مَضَى لِتُّهْمَةٍ ضَالِمَةٍ. فَقَامَ عَنْ كُرْسِيِّهِ وَسَرَّ نَاحِيَةً جَمِ رُدْنِي، وَقَالَ لَهُ:

«أَخْطَأْتُ فِي حَقِّكَ. أَنَا لَا أَتَّهِمُكَ. يَا جَمِ. خَطَرْتُ لِي لِأَنَّكَ أَكْثَرُ مِنْ
سِوَالِكَ تَرُدُّدًا عَلَى كَوَحِي. كُنْتُ أُحَاوِلُ فَقَطُ أَنْ أُخَمِّنَ أَتَيْنَ أَجْدُ مَالِي.»

شَرَعَ الْقَرَوِيُونَ عِنْدَيْهِ يَتَدَاوِلُونَ فِي الْإِحْتِمَالَاتِ الْمُخْتَلِفَةِ. وَتَطَوَّعَ
اثنانٍ مِنْهُمَا لِيَعُودَا مَعَ سَائِلَسَ فِي ذَلِكَ الْجَوِّ الْمُمَطَّرِ. وَتُسَاعِدَاهُ فِي
الْبَحْثِ عَنْ ذَهَبِهِ.

فِي صَبَاحِ يَوْمِ ثَانِي كَسَتْ ثَقْرِيَّةٌ كُنْهَ نَصَحٍ بِخَيْرِ لَسْرِقَةٍ. وَقَدْ
شَارَكَ غُوذْفَرِي. شَتِيقٌ دَنْشَتَن. فِي يَتُّكَ الْأَحَادِيثِ. لَنْ يَنْهَ دَهَبَ إِلَى
جَوَارِ الْمَكْرُخِ يَنْسَطُّعُ الْأَمْرُ. وَقَدْ وَجَدَ مَعْضُ ثَقْرَوِيَّيْنِ فِي مَوْضِعٍ قَرِيبٍ
قَدَاحَةٍ قَدِيمَةٍ. فَدَخَلَ فِي رَوْعِهِمْ أَنَّ بَرِئًا مَسْجُورًا كَانَ قَدْ مَرَّ مِنْ هُنَاكَ
ذَلِكَ الصَّبَاحِ. وَرَأَوْهُ يُشْعِلُ غُيُورَهُ بِمِثْلِ تِلْكَ الْقَدَاحَةِ. هُوَ السَّارِقُ.

كَانَ غُوذْفَرِي قَدِمًا. وَخُوذُ دَنْشَتَن لَمْ يَكُنْ قَدْ عَدَّ إِلَى مَثَرِهِ مِنْ
رِجْلَتِهِ الَّتِي قَدْ بَلَغَ يَبِيعُ الْحَوْدَ. وَقَدْ دَاخَلَتْ الرِّيْبَةُ نَفْسَ غُوذْفَرِي.
وَبَدَا لَهُ أَنَّ أَخَاهُ لَنْ يَعُودَ إِلَى الْمَثَرِ إِلَّا بَعْدَ أَنْ يَتَمَرَّ بِشَتَنِ الْحَوَادِ أَوْ
يَبْدُدَهُ بِضَيْئِهِ الْمَعْمُودِ. فَتَنَاطَقَ يَبْحَثُ عَنْهُ.

لَكِنْ لَمْ يَكُنْ يَشْرَعُ فِي بَحْثِهِ حَتَّى رَأَى تَاجِرًا يَعْرِفُهُ مِنْ تَجَارِ الْخَيْلِ.
يُقْبِلُ نَحْوَهُ. رِبْطُ التَّاجِرِ حَصَاةٌ. وَخَيْرُ غُوذْفَرِي أَنَّهُ غَيْرَ عَلَى جَوْدِهِ
قَتِيلًا. وَأَنَّ دَنْشَتَن لَمْ يُصَبِّ. فِي الْغَائِبِ. بِأَذَى. وَإِلَّا لَكَانَ غَيْرَ عَلَيْهِ
فِي ذَلِكَ الْحَوْرِ.

إِسْتَأْذَنَ غُوذْفَرِي فِي الْإِصْرَفِ. مُتَشَبِّعًا أَنَّ أَخَاهُ لَا تَدَّ عَدِيدُهُ إِلَى
الْبَيْتِ قَرِيبًا. وَبَدَتْ يَخْشَى أَنَّ يَكْتَسِفَ دَانِشَتَن لِأَبِيهِ قَمَرٌ رَوَاحِهِ مِنْ
مَوَالِي. فَيَجِدُ بُوَهُ شَيْئًا حَرًّا يُعْضِبُهُ غَيْرَ ضَبِيعٍ يَحْدِرُ نُحْرَارِ عَيْنِ

رَأَى غُوذْفَرِي لِنَدِيكَ أَنَّ خَيْرَ مَا يَفْعَلُ هُوَ أَنْ يَتَحَمَّلَ نَتَائِجَ تَصَرُّفِهِ
فِيخْبِرَ أَبَاهُ الْحَقِيقَةَ وَعَزَمَ عَلَى أَنْ يَفْعَلَ ذَلِكَ فِي صَبَاحِ يَوْمِ ثَانِي.
وَدَاعَبَهُ أَمَّا فِي أَنْ يَعْمُرَ بُوَهُ لَهُ فِعْنَتَهُ. وَأَنَّ يَسْتَعَةِ كِبَرِيَاؤُهُ مِنْ وَضْعِهِ بِهِ
عَمَّا.



ضَعُتْ عَزِيمَةً غَوْدُفَرِي فِي أَثَدِّ النَّبِيلِ . لَكِنَّهُ عَادَ فِي الصَّبَاحِ
فَاسْتَجْمَعَ شُجَاعَتَهُ وَحَدَّثَ أَبَا عُبَيْ مَائِدَةَ الْإِفْصَارِ . قَالَ :

« حَالٌ بِحِصَانِي مَكْرُوءٌ . يَا أَبِي . حَدَّثْتُ ذَٰلِكَ أَوَّلَ أَمْسٍ . »

قَالَ الْأَبُ : « أَحْسَبُ أَنَّهُ وَقَعَ وَكَسَرَ رُكْبَتَيْهِ . إِنَّ صَحَّ ذَٰلِكَ . فَلَنْ
أُعْطِيكَ حِصَانًا غَيْرَهُ . لَا مَالَ عِنْدِي . تُثَرِّعُونَ لِي يَدْفَعُوا الْإِيحَارَ حَتَّى
الْآنَ . الْيَوْمَ سَأُقَاضِيهِمْ . »

« الْأَمْرُ أَسْوَأُ مِنْ ذَٰلِكَ ، يَا أَبِي . فَقَدْ مَتَّ الْحِصَانُ . كُنْتُ أَتَوَى أَنْ
أَبِيعَ الْحِصَانَ وَأُعِيدَ إِلَيْكَ مَالُكَ . وَقَدْ أَخَذَ دَانِشْنُ الْحِصَانَ وَأُتْجَرَ اتِّفَاقُ
الْبَيْعِ . وَلَكِنْ قَبْلَ أَنْ يُسَلَّمَهُ إِلَى صَاحِبِهِ رَاحَ يَتَفَرُّ بِهِ قَفَرَاتٍ مُتَهَوِّرَةً
فَوَقَعَ الْحِصَانُ عَلَى خَشَبَةٍ سَيَّجٍ وَهَلَكَ . لَوْ لَمْ يَحْدُثْ ذَٰلِكَ لَكُنْتُ
دَفَعْتُ لَكَ هَذَا الصَّبَاحَ مَالُكَ . وَالْحَقِيقَةُ أَنَّ الثُّرَارِ عَيْنَ دَفَعُوا الْإِيحَارَ .
لَكِنْ دَانِشْنُ صَبَّ مَتَى أَنْ أُعْطِيَهُ إِيَّاهُ . وَأُلْحَ فِي الصَّبِّ . فَفَعَلْتُ . »
اِحْتَقَنَ وَجْهُ النَّبِيلِ كَاسَ غَضَبٍ . وَبَدَأَ لَهُ أَنْ ابْتَهَ لَمْ يَرَوْ لَهُ الْحَقِيقَةَ
كَثْمًا . قَالَ بِصَوْتٍ غَضِيبٍ : « شَدَّ دَانِشْنُ فِي الْحَالِ ! »

أَجَابَ غَوْدُفَرِي لَمْ يَعُدْ إِلَى التَّمَرُّدِ بَعْدُ . يَا أَسِي .

قَالَ النَّبِيلُ غَضِيبًا : لِمَ أُعْطِيْتُهُ مَالِي ؟ »

تَرَدَّدَ غَوْدُفَرِي فِي الْجَوَابِ . لَكِنَّهُ لَمْ يَجِدِ شُجَاعَةً عَلَى التَّوَحُّ
بِالْحَقِيقَةِ . فَقَالَ : أَرَدْتُ أَنْ يَنْهَوِيَ كَمَا يَنْهَوِي الشُّبَابُ .

عَبَسَ النَّبِيلُ غَبْسَةً غَضِيبَةً . وَقَالَ : كَأَنَّكَ أَنْ تُسَاعِدَنِي فِي إِدَارَةِ
أَمْثَالِكِي . وَإِنْ لَكَ أَنْ تَتَرَوَّجَ . أَحْسَبُ أَنَّكَ تَحِيلُ إِلَى نَاسِي . إِنْ لَمْ
تَكُنْ تَجُرُّ عَلَى أَنْ تَعْرِضَ عَلَيْهَا الزَّوْجَ . فَبِئْسَ الْكَلِمَةُ أَبَاهَا يَدِيَّةً عَمْتُ . »



قال غودفري في دُعرٍ: «أرجوك. تَرَيْتَ بَعْضَ الْحِينِ. أَنَا أَوْثَرُ أَنْ
أَكْتَمَهَا بِنَفْسِي. فَأَرْجُو أَلَّا تَسْتَعْجِلَ الْأُمُورَ.»

قال النَّبِيلُ: «أَفْعَلُ مَا يَخْلُو لِي. خُذْ جَوَادَ دَانِسْتَن وَبِعْهُ. وَأَعْطِنِي
ثَمَنَهُ. عَلَى دَانِسْتَن بَعْدَ الْيَوْمِ أَنْ يَتَّحَمَّلَ مَسْئُولِيَّةَ عَمَلِهِ.»

غَادَرَ غودفري الْغُرْفَةَ. كَانَ يَأْمُلُ أَنْ يَجُودَ عَلَيْهِ الْقَدَرُ يَوْمًا
بِالْخَلَاصِ.

أَحَدَتِ الصَّبْغَةُ أَمِّي أَثَرَهَا عَمِيَّةً نَشْطَوِ عَلَى ذَهَبِ سَائِسٍ تَتَلَاشِي
تَدْرِجًا. وَلَمْ يَنْحَطْ أَحَدٌ أَنْ دَانَسَتْ قَدْ اخْتَمَى فِي الْيَوْمِ نَفْسِهِ الَّذِي
اخْتَمَى فِيهِ الذَّهَبُ. اسْتَمَرَّ سَائِسٌ يَحِثُّ لِنَسِيخٍ. لَكِنَّهُ كَانَ طَوَالَ
الْوَقْتِ حَزِينًا عَلَى مَا فَقَدَ. كَانَ يَجْلِسُ فِي الْمُسَبِّحَاتِ مَدَامَ نَدِيرِ الْخَفِيقَةِ.
فِيَضَعُ مِرْفَقَيْهِ عَلَى رُكْبَتَيْهِ وَرَأْسَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ. وَشَيْئًا نَبِيذًا خَافِتًا.



أَخَذَ أَهْلَ الْقَرْيَةِ يَعْطِفُونَ عَلَيْهِ. بَلْ صَارَ بَعْضُهُمْ يَتَرَدَّدُ عَلَى كُوْحِهِ.
ثُمَّ جَاءَتْ مَوَاسِمُ الْأَعْيَادِ. وَفِي الْأَعْيَادِ تَأْتِلَفُ الْقُذُوبُ.

فِي ذَلِكَ الْحِينِ جَاءَتْ إِحْدَى الْقَرْوِيَّاتِ. وَاسْمُهَا دُولِي. تَزُورُ
سَائِلَسَ. كَانَتْ تَحْمِلُ لَهُ سَلَّةً مَمْنُوءَةً بِأَكْعَكٍ وَالشُّكُوتِ. قَالَتْ لَهُ:
«هَذَا كَعْكُ الْعِيدِ. تُرِيدُكَ أَنْ تَأْكُلَ مِنْهُ لِأَنَّكَ تُرِيدُكَ أَنْ تَشْعُرَ بِأَنَّكَ
وَاحِدٌ مَّا.»

هَزَّ سَائِلَسَ رَأْسُهُ مُوَافِقًا. لَكِنَّهُ فِي الْحَقِيقَةِ كَانَ كَعَادِيهِ مُسْتَعْرِقًا فِي
حُزْنِهِ. قَالَتْ دُولِي عِنْدَئِذٍ:

«لَمْ يَفُتِ الْأَوَانُ بَعْدُ لِتَبْدَأَ حَيَاةَ حَدِيدَةٍ.»

ثُمَّ التَفَتَتْ إِلَى ابْنِهَا الصَّغِيرِ الَّذِي كَانَ يُرَافِقُهَا. وَقَالَتْ لَهُ:
«غَنِّ لِلسَّيِّدِ مَرْثَرُ أَغْنِيَةِ الْعِيدِ!»

كَانَ الْوَلَدُ خَجُولًا. لَكِنَّهُ فَعَلَ مَا طَبَعَتْهُ أُمُّهُ مِنْهُ. وَعِنْدَمَا انْتَهَى مِنْ
إِنْشَادِهِ ابْتَسَمَ سَائِلَسَ ابْتِسَامَةً بَاهِتَةً، وَقَالَ وَهُوَ شَارِدُ الذَّهْنِ:

«غِنَاءٌ جَمِيلٌ!»

كَانَتْ الْقَرْيَةُ كُلُّهَا تَحْتَفِلُ بِالْعِيدِ. أَمَّا سَائِلَسَ فَلَمْ تُقَلِّ نِلْكَ الْقَرْوِيَّةُ
الصَّيِّئَةُ الْقَلْبِ مِنْ حُزْنِهِ. وَأَمْضَى الْعِيدَ وَحْدَهُ.

كان من عادة السيل كاس أن يقيم في قصره كل عام حفلا كبيرا.
وكان غودفري هذا العام يتسوق لذلك اليوم. لأنه كان يعلم أن نانسي
س تكون مدعوة. لكنه كان يتخوف في الوقت نفسه مما يمكن أن تسببه
رواجته مولي. فإنها كانت قد عادت إلى تهديده. وبما أن يعطيها مالا أو
تفصح أمر زواجها منه.

اقترَب غودفري، في أثناء الحفل، من نانسي، وراح يتحدثها لكنه
داس عَقْوًا على طَرَفِ ثوبها الطويل المُصَدَّسِ فتسرق فأصرع يرافقتها
إلى عُرْفَةٍ مُحَاوِرَةٍ اِنتِظَارًا لِمَنْ يَأْتِي وَيُصْلِحُ الثَّوبَ. وكان غودفري قد
رأى في ذلك فُرْصَةً يَحْلُو بِهَا إِلَى نانسي ويحدثها على انفراد. قال لها:

يُسْعِدُنِي الْحَدِيثُ مَعَكَ أَكْثَرَ مِمَّا يُسْعِدُنِي أَيُّ شَيْءٍ آخَرَ فِي الدُّنْيَا.
لَكِنْ نَاسِي جَفَنَةٌ وَصَدَنَةٌ. فَقَدْ كَانَ تَنَاهَى إِلَى مَسَمَعِهَا أَقَاوِيلُ عَنْ
تَصَرُّفَاتٍ طَائِشَةٍ. وَكَانَتْ تَخْشَى أَنْ تَكُونَ تِلْكَ الْأَقَاوِيلُ صَحِيحَةً.
قَالَ غودفري بِصَوْتٍ مُتَهَدِّجٍ: «إِذَا بَدَأَ مِنِّي شَيْءٌ مِنَ الطَّيْشِ، فِيمَ لَا
تُحَاوِلِينَ إِصْلَاحِي؟»

لَمْ تَظْهَرْ نَاسِي رَاضِيَةً عَنْ غودفري لَكِنَّهَا لَمْ تَسْتَصِعْ أَنْ تُخْفِيَ
سُرُورَهَا بِصُخْتِهِ. وَكَانَ غودفري سَعِيدًا بِقُرْبِهِ مِنْهَا حَتَّى وَلَوْ لَمْ يَحْدُثْ
مِنْهَا تَشْجِيعًا كَانَ قَدْ عَزَمَ، تِلْكَ اللَّيْلَةَ عَلَى الْأَقْلَى، أَنْ يُنْجِ نَفْسَهُ
وَيَنْسِيَ مَخَافَتَهُ كُلَّهَا.





في ذلك الوقت عني، كانت مولي، زوجتي، تجوس المسالك
المنعطة بالثلج في طريقها إلى قصر النبيل كاس، تخيل بين ذراعيها
ابنتها الصغيرة. كانت قد عرمت عني أن تكشف سرها للنبيل. انتقاماً
من ابنه غودفري الذي رفض أن يعترف علناً بزواجها منه. كانت مولي
فيما مضى فتاة حسنة، وكانت تعلم أن شقاءها ومذللتها وفقرها في
إدمانها. لكنه، مع ذلك. كانت حقة عني غودفري أشد الحقد. ولم
تعد تعرف راحة إلا في ما تشبه من شراب فتاك. وفي تلك الطريق
الباردة الموحشة لم تكن تقدر على مقاومة ذلك الشراب، فأخرجت
قنبلة صغيرة وشربت ما فيها.



مشيت مشية مضطربة. وقد أحسست نعر شديد. ثم لم تعد تقدر
على مقاومة ذلك النعاس. فارتست فوق الثلج على جانب الطريق
وهناك. في حوار حبة شائكة. نامت وهي تخلص انتها

تراجى دراعا مولي. فتركت الطفلة أمها وحسبت على الثلج إلى
حوارها. لمعت أندها شعاع كان يسع فوق الثلج. حاولت أن تمسك
ذلك الشعاع. لكنه تسرب من بين أصابعها. فمشت صوب مصدره.

كان ذلك المصدر هو النار المتأججة في كوخ سايلس مارنر. كان
نار مفتوحة مدحت لطفة وقعدت بفرح على الكيس العتيق الذي
كان سايلس قد فرشه أمام النار لينجف.

كَانَ سَائِسٌ قَدْ خَرَجَ مِنْ كَرْجِهِ إِلَى نَهْرٍ نَصَقَ لِتَوَدُّعِ عَمَةٍ
وَنَسْتَقْبِلَ عَمَةٍ. قِيلَ لَهُ إِنَّ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ يَلُومُ يَتَنَسَّى. وَكَانَ هُوَ
بِطَبِيعَةِ الْحَارِ يَتَمَنَّى أَنْ يَعُودَ ذَهَبُهُ إِلَيْهِ. وَحَدَّثَ عِنْدَهُ كَرَى فِي الْخَارِجِ
أَنْ أَصَابَتْهُ إِحْدَى نَوَابِيهِ. فَجَمَدَ فِي مَكَرِهِ وَتَصَبَّتَ قَسَمَاتُهُ وَغَابَ عَنْ
الْوَعْيِ. فِي هَذِهِ الْأَثَدِ مَوْتِ لُصَّةٍ مِنْ أُمَمِهِ وَدَخَلَ مِنْ بَابِهِ
الْمَفْتُوحِ.

عِنْدَهُ اسْتَمَقَ سَائِسٌ مِنْ غَيْبِيَّتِهِ. دَخَلَ مَثْرَةً وَجَسَ عَلَى كُرْسِيِّهِ
إِلَى جَانِبِ النَّارِ وَهُوَ لَا يَزَالُ رَائِعٌ أَبْصَرَ تَمَّ لَمَحَ لَوْنِ الذَّهَبِ يَتَأَلَّقُ فِي
ضَوْءِ النَّارِ الَّتِي كَانَتْ الْآنَ قَدْ خَفَّتْ. أَخَذَ قُبَّةً يَحْفِقُ خَفَقَانٌ شَدِيدًا.
إِذَا تَخَيَّنَ أَنْ كَثُرَهُ قَدْ عَادَ إِلَيْهِ.

مَدَّ يَدَيْهِ يَتَحَسَّنُ مَا رَأَى. لَكِنْ ثَامِنَةً لَهُ تَنَمَّسَ قِطْعًا ذَهَبِيَّةً بَلْ
لَمَسَتْ لُحْصًا خَرِيرِيَّةً رَكَعَ يَتَمَحَصَّنُ ذَلِكَ الشَّيْءَ الْمُدْهِشَ الْعَجِيبَ.
فَإِذَا هُوَ طَمَّةٌ بَائِمَةٌ. بَدَأَ لَهُ هَيْئَتُهُ أَنَّ بَدَأَ لُصَّةً هِيَ لُحَّةُ الصَّغِيرَةِ الَّتِي
مَاتَتْ حِينَ كَانَ لَا يَزَالُ صَبِيًّا. وَقَدْ عُدَّهِ اللَّهُ إِلَيْهِ. أَحْسَنَ فُحْدَةً بِإِدْرَاءِ
الْمَحَنَةِ لِإِنْسَانِيَّةِ الَّتِي كَانَ قَدْ فَتَدَهُ مِنْهَا رَمْسٌ بَعِيدٌ.

اسْتَيْقَظَتْ لُصَّةٌ. وَأَحْدَتْ تَبْكِي. حَمَلَهُ سَائِسٌ وَوَضَعَهَا عَلَى
رُكْبَتَيْهِ. فَأُشْرِعَتْ تُحِيطُ عُمَّةً بِذِرْعَيْهِ. دَرَأَ عُنْدِيذٍ أَنَّ لُصَّةً حَارِغَةً
وَمَقْرُورَةً. فَأُسْرِعَ يُرْجِعُ الشَّارَ. وَزَعَجَ جَذَعُهُ حُسْنٌ وَأَعَدَّ صَحْنًا مِنْ
الْمُهَلَّبِيَّةِ. أَكَلَتْ لُصَّةٌ طَعَامَ شَهِيٍّ وَأَحْسَتْ بِالْذَّفَاءِ فَبَدَتْ عَلَيْهَا
السَّعَادَةُ. وَأَحْدَتْ تَغَبُّ.



رَفَعَ سَائِسُ الصُّفَّةِ وَحَمَنِي إِلَى الْبَابِ. وَرَاحَ يُدَقِّقُ الشُّظْرَ مُحَاوِلًا أَنْ
يَتَّبَعَ آثَرَ أَقْدَامِهَا فِي الشَّجَرِ. وَهِيَ آثَارُ كُنْتُ قَدْ أَوْشَكْتُ عَلَى
الِاخْتِفَاءِ. نَسَعُ مَا تَبَقِيَ مِنْ تِلْكَ الْآثَرِ بِمَشَقَّةٍ. إِلَى أَنْ رَأَى الصُّفَّةُ تَمَدُّ
ذِرَاعَيْهَا بِأَحْيَةِ جَسَدٍ شَرِيٍّ يَكْذِبُ الشَّجَرُ يُعْطِيهِ. وَتَقُولُ: «مَامَا!

كَانَ الْحَقْلُ هِيَ مَثَرُ النَّبِيلِ كَسَ فِي دِرْوَتِهِ . اِتَّفَقَ أَنْ نَضَرَ عَوْذُفَرِي
نَاحِيَةَ الْبَابِ وَذَهَبَ أَنْ يَرَى الْحَائِكَ سَائِسَ مَرْزَرَ يَقِفُ هُنَاكَ يَحْمِلُ ابْنَتَهُ
يَسَّ يَدِيهِ .

خَيَّهَ الصَّحَّتْ عَلَى النَّاسِ كُنْهَهُ فِي الْقَدَاغَةِ . وَقَدْ رَأَوْا هُمْ يُضُّ مَا رَأَاهُ
عَوْذُفَرِي . تَهَضَّ النَّبِيلُ كَاسَ وَتَقَدَّمَ مِنْ سَائِسَ غَضِبًا . وَقَالَ لَهُ :
« مَا حِكَايَتُكَ . تَجِيئُ عَلَى هَذِهِ الْحَالِ ؟ »

أَجَابَ سَائِسَ : « جِئْتُ ضَبُّ الضَّبِّ . عَثَرْتُ يَسَّ الْمُشْخُورِ
الْمُجَاوِرَةِ لِمَثَرِي عَلَى امْرَأَةٍ حَسْبَهَا مَيَّةً .

أَسْرَعَ أَخَذَ الصُّيُوفَ يَسْتَدْعِي الضَّبَّ . أَرَادَ الضَّبُّ أَنْ تَكُونَ مَعَهُ
سَيِّدَةً . وَفَتَرَاحَ سَمَ السَّيِّدَةِ دُونِي . وَكَانَ أَنْ تَصُوعَ عَوْذُفَرِي أَنْ يَذْهَبَ
إِلَى مَثَرِ دُوي وَيُرَافِقَهَا إِلَى كُوخِ الْحَائِكَ . فَبِهِ كَانَ قَدْ اسْتَشْجَحَ أَنْ
السَّيِّدَةُ الْمَيَّةُ هِيَ زَوْجَتُهُ مُونِي . نَكَّهَ رَادَ أَنْ يَسْتَوْتَقَ مِنْ ذَلِكَ
بِنَفْسِهِ .

وَإِذَا كَانَ سَائِسَ وَالضَّبُّ يَهْتَدِرُ بِالْخُرُوجِ . قُتِرَبَتْ سَيِّدَةُ مِنْ
سَائِسَ وَقَالَتْ لَهُ :

يَحْسُنُ أَنْ تَتْرَكَ نَفْسَهُ هَذَا . يَا سَيِّدُ مَرْزَرَ .

أَسْرَعَ سَائِسَ يَرُدُّ بِعُصْبِيَّةٍ :

« لَا . لَا . نَسْ تَرْكِبْ . نَسْ تُبْعِدُهُ عَنِّي جَاءَتْ إِلَيَّ . يَحِقُّ لِي أَنْ
أَحْفِظَ . »



مَضَى غَوْذُفَرِي إِلَى مَنْزِلِ السَّيِّدَةِ الْفَرَوِيَّةِ لُصْبَةً تُقَابِ دُولِي . وَرَافَقَتْهُ
إِلَى حَيْثُ يَعِيشُ سَيِّسُ . وَعِنْدَمَا وَصَلَا إِلَى هُنَاكَ . وَجَدَا أَنَّ سَيِّسَ
وَالصَّبِيبَ دَخَلَ الْكُوخَ حَيْثُ كَانَ قَدْ تَقَالَا لُصْبَةً الْخَمِيَّةَ . انْتَضَرَ غَوْذُفَرِي
فِي مَخْرَجِ . وَرَاحَ يَنْدَرُجُ ثَمَّكَانَ ذَهَبًا وَرِيَاءَ بِشَقِّ شَدِيدٍ كَانَ مُشَوَّشَ
الْأَفْكَارِ . إِذَا كُنْتَ مَوْلِي قَدْ مَاتَ فِيهِ لَآنَ بَتْدَأُ حَيَاةً جَدِيدَةً وَيَتَرَوَّجُ
نَاسِي . أَمَّا الْخُصَّةُ فَهِيَ يَضْعَبُ عَلَيْهِ أَنَّ يَعْهَدَ بِهِ إِلَى مَنْ يَتَكَمَّلُ بِأَمْرِ تَرْبِيَّتِهَا .
خَرَجَ الصَّبِيبُ بَعْدَ قَلِيلٍ مِنَ الْكُوخِ . وَقَالَ : «مَاتَ مِنْهُ بَعْضُ الْوَقْتِ .
سَأَلَ غَوْذُفَرِي : مَا شَكْنُهَا ؟»

«شَابَّةٌ . هَزِيلَةٌ . دَاتُ شَعْرِ أَسْوَدَ صَوِيلٍ . تَبْدُو فِي ثِيَابِهَا وَهَيْئَتِهَا
كَالْمُسْتَشْرِدِينَ . لَكِنْ فِي بَصْعَتِهَا خَاتَمَ زَوَاجٍ .»

دَخَلَ غَوْذُفَرِي الْكُوخَ . وَكَانَتِ السَّيِّدَةُ دُولِي هُنَاكَ . أَلْتَمَى عَلَى السَّيِّدَةِ
الْمُسَبَّحَةَ نَظْرَةً وَاحِدَةً فَقَطْ . لَكِنَّهُ بَعْدَ سِتَّةِ عَشَرَ عَامًا . عِنْدَمَا رَوَى قِصَّةَ
تِلْكَ اللَّيْلَةِ كَمِيَّةً . كَانَ لَا يَزِلُّ يَذْكُرُ وَجْهَ رَوْجَتِهِ الْمُسْكَبَةِ الْحَقِيقَةِ .
كَأَنَّمَا كَانَ لَا يَزَالُ مَائِلًا أَمَامَهُ .

انْتَمَتَ غَوْذُفَرِي إِلَى سَيِّسِ الَّذِي كَانَ يَحْمِلُ ابْنَتَهُ وَقَدْ مُتَّصِهَرًا
بِالْإِلْمَالَةِ : أَنَّاخُذُ الْخُصَّةَ غَدًا إِلَى مَلْحَمِ الْأَيْتَمِ ؟»

أَحَبُّ لِحَدِيثِكَ بِجَدَّةٍ لَنْ أَفْعَلَ ذَلِكَ إِلَّا مُجْبَرًا . لَيْسَ لِبُصْطَةِ أَهْلٍ
يَرْعَوْنَهَا وَنَ أَيْضًا وَحِيدًا . ضَاعَ دَهْبِي . وَقَدْ حَادَتْ هِيَ إِلَيَّ . وَمَعِيَ
سَبْتَمِي مَا لَمْ يَتَقَدَّمْ لِمُضَاضِيَةِ بِهَا مَنْ هُوَ أَحَقُّ مِنِّي بِتَرْبِيَّتِهَا .»

قَالَ عَزَّوَجَلَّ: «صِفْهُ بِسُكُونٍ! سَأُعْطِيكَ مَا تَشْتَرِي بِهِ لِبَطْنَةٍ ثِيَابًا.»
 وَضَعَ بَيْنَ يَدَيْ سَائِسٍ قِطْعَةً ذَهَبِيَّةً. وَعَجَّلَ فِي الْخُرُوجِ مِنَ الْمَكَّةِ.
 أَخِيرٌ صَارَ خُرًّا. سَيَّطَبُ يَدَ نَاسٍ وَمِنْ دَاعٍ الْآنَ أَنَّ يَعْتَرِفَ
 بِمَاضِيهِ. إِذَا عَدَّ دَانِشَسَ. وَحَدَّثَ أَنَّ يَخُونُ أَخَاهُ وَيَقْطَعُ أَمْرَهُ فَلَنْ
 يَصْعُبَ عَلَيْهِ أَنْ يَرْتَوِدَ. كَمَا كَانَ يَفْعَلُ دَائِمًا. سَيَعْمَلُ عَلَى أَنْ يُؤَمِّنَ
 لِبَطْنَةَ الْعِدِيَّةِ الَّتِي تَحْتَاحُ إِلَيْهَا. لَكِنَّهُ رَأَى أَنَّ مِنَ الْخَيْرِ لَهُ لَا يَكْشِفُ
 عَمَّا بَيْنَهُمَا مِنْ صِلَةٍ.

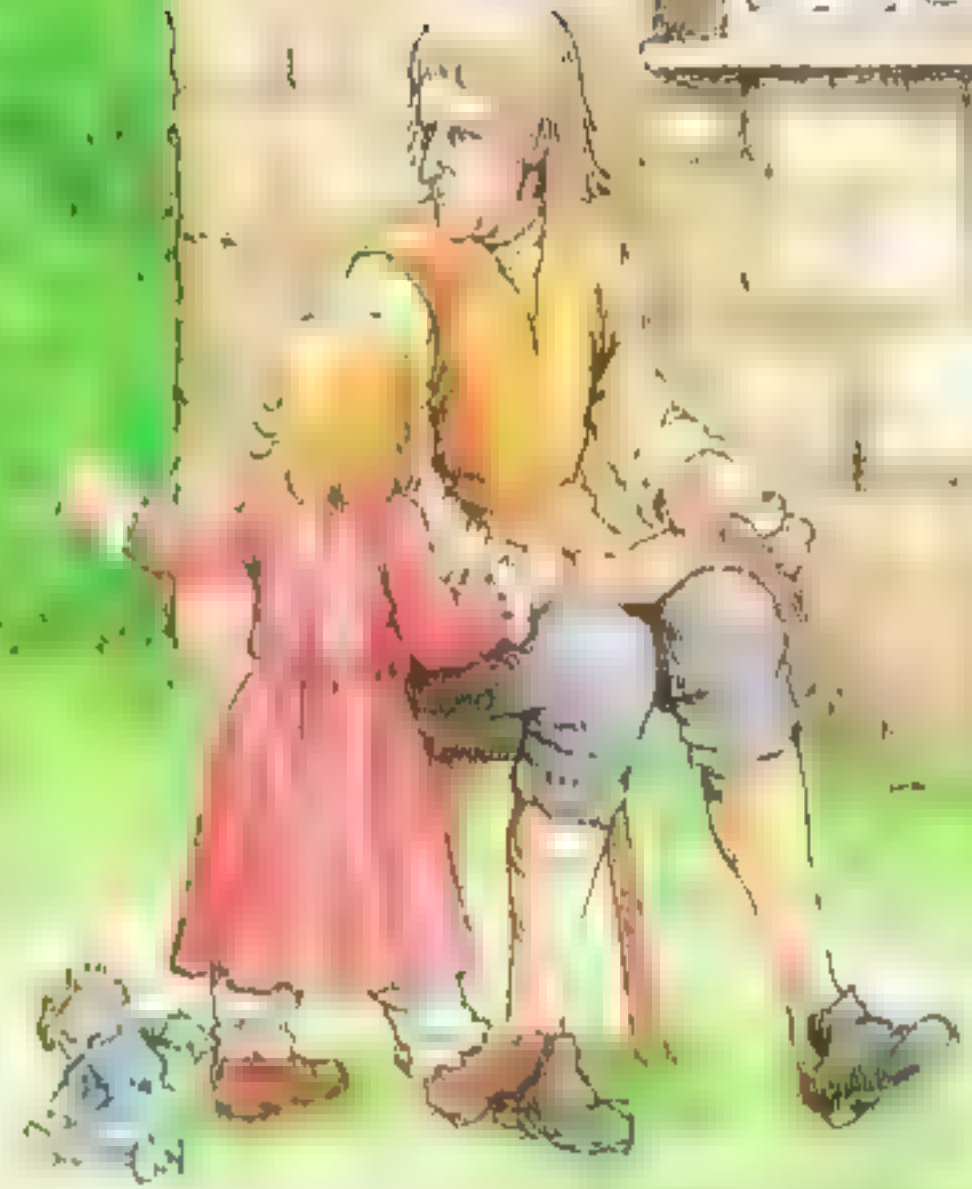




قال سائلس: شيء من التردد: «شكراً لك. هذا كرم منك لكّي أريد أن أتعلم كل ما ينبغي أن أتعلم لأقوم بتربيتها التربة الحسنة. أريدها أن تحشي وأن تكون فخورة بي. ذهب مالي، وقد عوضني الله بها عن ذلك المال!» ثم رفع الطمّنة ووضعها في حجرة.

قالت دولي: «لا شك أنك تعلم أن عليك أن تُربّيها كما يُربّي سائر الناس أولادهم. وأن تُسّنها تسنّة صالحة.»

كان سائلس يريد لطفلة خير تربية فهر رأسه موافق وأسمى الصفة إبي، وكان اسم أخيه التي مانت صغيرة.



در في القرية لعلّ حور ذلك الحثك الوحيد ونسبه طفلة. لكنّ الناس سرعان ما تعاطفوا معه، وقدّروا عمله النبيل، وكان سائلس يضمن إلى مساعدة السيّد دولي. وقد أعطها قطعة غودفري الذهبية وسألها أن تشتري بها للطفلة ثياباً. قالت دولي:

«يا سيّد مارتز، لا تحتاج أن تشتري إلا روح من الأخدية فإن أعطيت الثياب التي كان ابني آرن ينسها قتل خمس سوات.»

في ذلك اليوم نفسه وصلت دولي تحمل صرة الثياب التي وعدت بها. وقمت بغسل الطمّنة وألصقتها بها.

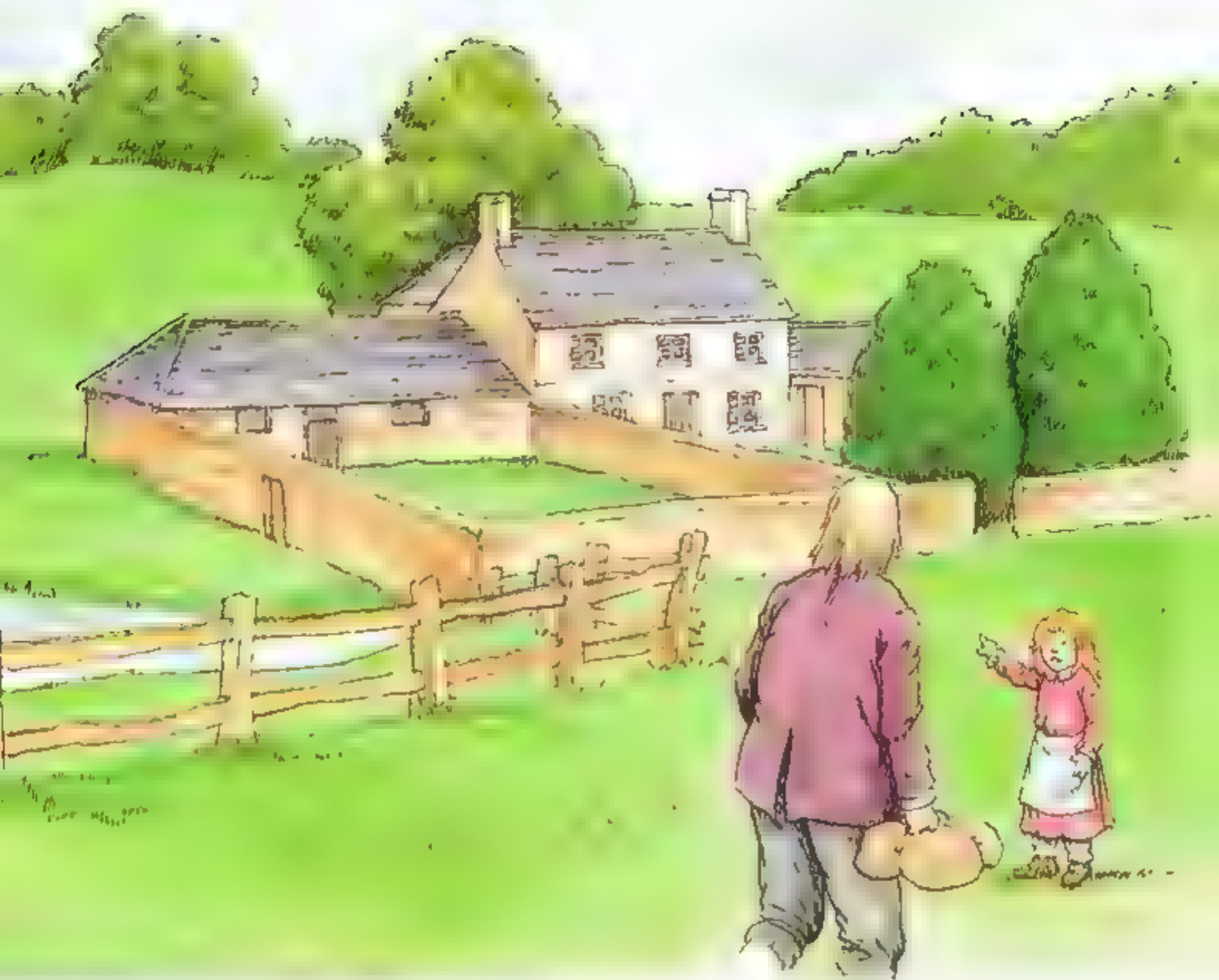
أَعْطَتْ إِيَّيَ الْحَيَاةِ سَائِسَ مَعْنَى جَدِيدًا. كَانَتْ تَسْكُشِفُ وَتَكْثُرُ
وَتَتَعَمَّقُ. وَصَارَ الْحَدِيثُ يَرَى الْحَيَاةَ وَنُصْبِغَةً وَالتَّاسَ فِي صَوْنٍ حَدِيدٍ.
كَانَ كُلُّ مَنْ يَرَى إِيَّيَ يَتَعَمَّقُ بِهَا. كَانَ فِيهَا يَتَّبِعُ مِنَ الْبُهْجَةِ. وَصَارَ
سَائِسَ يَأْخُذُ إِلَى الْقَرْيَةِ. وَيَقْبِلُ النَّاسَ. وَعَدَّ فَنَدَمَحَ. شَيْئًا فَشَيْئًا فِي
حَيَاةِ الْمُحْتَمَعِ مِنْ حَوْلِهِ. وَلَمْ يَعُدْ يَعْمَلْ عَلَى كَوْنِهِ لَيْلًا وَنَهَارًا. فَكَثِيرًا
مَا كَانَتْ إِيَّيَ تَأْتِيهِ فِي حَاجَتِهَا الْكَثِيرَةِ. وَكَانَ هُوَ يُسْعِدُهُ أَنْ يَتْرَكَ عَمَلَهُ
يُتَابِعِي لَهَا صُدْبَتَهَا. وَتَشَأَتْ إِيَّيَ دُونَ أَنْ تَتَعَرَّضَ مَرَّةً وَاحِدَةً لِلتَّصَاصِ.
فَلَمْ يَكُنْ سَائِسَ يُضِيقُ أَنْ يُؤْتِبَهَا أَوْ يَقْشُرَ عَلَيْهَا.

كَانَ يَقُولُ: «سَكْبُرُ وَتَرْكُ صَيْشِ الْأَصْدَرِ».

كَانَ سَائِسَ يَأْخُذُ مَعَهُ فِي تَنْقَلَاتِهِ بَيْنَ الْحَرِيرِ وَالْمُجَوَّرَةِ. كَانَتْ
سَلَوَاهُ الْوَحِيدَةَ وَكَانَ النَّاسُ الَّذِينَ يَشْتَغِلُ لَهُمْ أَوْ غَيْرُهُمْ مِنَ أَهْلِ الْقَرْيَةِ
وَسُكَّانِ الْمَنْطِقِ الْمُحْدَوَّرَةِ يَعْطِفُونَ كَثِيرًا عَلَى سَائِسَ وَإِيَّيَ. وَكَثِيرًا مَا
كَانُوا يُقَدِّمُونَ لَهُمَا الْهَدَايَا.

صَارَ النَّاسُ يَسْتَقْبِلُونَ سَائِسَ لَيْسَ عَلَى نَهْ الْعَمَلِ الشَّيْطَانِي الْمَاهِرِ
فَحَسِبَ. بَلْ عَلَى أَنَّهُ الرَّجُلُ الْمُنْصِفُ الَّذِي يَسْرُهُمْ أَنْ يَسْتَقْبِلُوهُ فِي
مَنَازِلِهِمْ. وَلَمْ يَعُدْ هُوَ يَنْظُرُ إِلَى الْمَدَارِ عَلَى أَنَّهُ كَثُرَ يُرِيدُ أَنْ يُخَبِّئَهُ. بَلْ
عَلَى أَنَّهُ وَسِيَّةٌ تُؤَمِّنُ لِيَّيَ مَا تَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنْ مَأْكَلٍ وَشِيبٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ
حَاجَاتٍ.

قَدْ كَانَتْ إِيَّيَ تَأْخُذُ بِبَيْتِهِ إِلَى حَيَاةٍ أَسْعَدَ وَأَغْنَى. حَيَاةٍ ذَاتِ
مَعْنَى.



هكذا تَوَالَتِ السَّنُونَ. مَرَّتْ سِتُّ عَشْرَةَ سَنَةً. كُنْتُ فِي حَيَاةِ سَائِلِسَ
 مَارْتَرِ سَنَوَاتٍ هَانِئَةً. كُنْتُ غُوْدْفِرِي كَاسَ يَرْعَى الْحَائِثَ. وَقَدْ أُعْطَاهُ
 بَعْضَ الْمَفْرُوشَاتِ الْقَدِيمَةِ الَّتِي كَانَتْ فِي قَصْرِ أَبِيهِ. وَكَانَ غُوْدْفِرِي قَدْ
 تَزَوَّجَ نُنْسِي فِي رَبِيعِ ذَلِكَ الْعَامِ الَّذِي جَرَتْ فِيهِ بِنْتُكَ الْأَحْدَاثُ
 الْجِسَاءُ. وَتَعَدَّ سَنَوَاتٍ تُوفِّيَ أَبُوهُ قَوْرَتْ لَقْبَهُ وَأَمْلَاكُهُ. وَضَلَّ دَائِمًا يُقَدِّمُ
 الْمَعُونَ لِسَائِلِسَ لِيَقْوَمَ بِتَشْيِئَةِ أَبِي تَشْيِئَةً حَسَنَةً. كَذَلِكَ كَانَتْ دَوَايِ تَتَرَدَّدُ
 دَائِمًا عَلَى كَرْخِ سَائِلِسَ وَتَحْرِصُ عَلَى أَنْ يَضِلَّ نَظِيفًا مُرْتَبًا

سَبَتْ إِي. وَذَا هِي صَبِيَّةٌ رَائِعَةٌ الْجَمَالِ. كَانَتْ آنَ ذَاكَ فِي الثَّامِنَةِ
عَشْرَةِ مِنْ عُمْرِهَا. وَكَانَ آرن. ابْنُ السَّيِّدَةِ الْقَرْوِيَّةِ دُولِي، شَاتًا وَسِيمًا
قَوِيمًا فِي الرَّابِعَةِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ عُمْرِهِ. وَكَانَ يَعْمَلُ بُسْتَانِيًّا فِي قَصْرِ غَيْرِ
بَعِيدٍ.

كَثِيرًا مَا كَانَ آرن يَتَرَدَّدُ عَلَى مَنْزِلِ سَائِس. وَيَجْلِسُ. هُوَ وَإِي.
أُمُّهُ الْمُتَزَوِّجَةُ. قَدْ لَهَا ذَاتَ يَوْمٍ:



«أَتَمَنَى أَنْ أَقْضِيَ عُثْرِي فِي هَذَا مُكَانٍ!»

أَجَابَتْ إِيَّيَ بِصَوْتٍ دَافِيٍّ: «أَنْ أَتَمَنَى ذَلِكَ أَيْضًا»

فِي أَحَدِ الْأَيَّامِ . وَبَيْنَمَا كُنَ سَائِسٌ وَإِيَّيَ عَائِدَتَيْنِ مِنَ الْقَرْيَةِ . يُرَافِقُهُمَا آوْنُ . قَالَتْ إِيَّيَ إِنَّهَا تَتَمَنَّى لَوْ كُنَ عِنْدَهَا حَدِيقَةٌ صَغِيرَةٌ حَوْلَ الْكُوْخِ . تَحْمِسُ سَائِسَ . بِطَبِيعَةِ الْحَدِيقِ . لِفِكْرَةٍ . لَكِنَّهُ كَانِ فِي الْمَوَاقِعِ قَدْ صَارَ كَهَلًا لَا يَقْوَى عَلَى الْعَمَلِ الشَّاقِّ . فَاسْرَعَ آوْنُ يَعْرِضُ مُسَاعِدَتَهُ . وَوَعَدَ أَنْ يُزِيلَ الصُّخُورَ وَيُخْفِرَ الْأَرْضَ وَأَنْ يَقُومَ بِكُلِّ الْأَعْمَالِ الَّتِي تَتَطَلَّبُ قُوَّةً .

تَابَعَ الثَّلَاثَةُ سَيْرَهُمْ نَاجِيَةً أُبَيَّتْ . كَانِ سَائِسٌ يُفَكِّرُ طَوَالَ ذَلِكَ الْوَقْتِ بِحَيَاتِهِ . وَكَيْفَ انْقَلَبَتْ مِنْ غُرَّةٍ وَاسْتَدْبَرَ إِلَى سَلْوَى وَفَرَحَ . وَكَثِيرًا مَا كَانِ يَتَحَدَّثُ فِي هَذَا الْأَمْرِ مَعَ دُولِي . وَيَذْكُرُ لَهَا أَنَّهُ كَانِ قَدْ فَتَدَ ثِقَتَهُ بِالْإِنْسَانِ مُنْذُ أَنْ خَانَهُ صَدِيقُهُ وَلَيْسَ دَانُ . وَمُنْذُ أَنْ أَثْهَمَ بِالسَّرِقَةِ أَثْهَامًا بَاطِلًا . وَأَنَّ هَذَيْنِ الْأُمْرَيْنِ جَعَلَاهُ يَتْرُكُ الْحَدِيقَةَ وَيَأْتِي إِلَى الرَّيْفِ لِيَعِيشَ حَيَاةً هَادِئَةً . وَإِذَا كَانِ قَدْ وَجَدَ فِي الرَّيْفِ شَقَاءً فَإِنَّهُ قَدْ وَجَدَ أَيْضًا السَّعَادَةَ وَالْأَمَلَ .

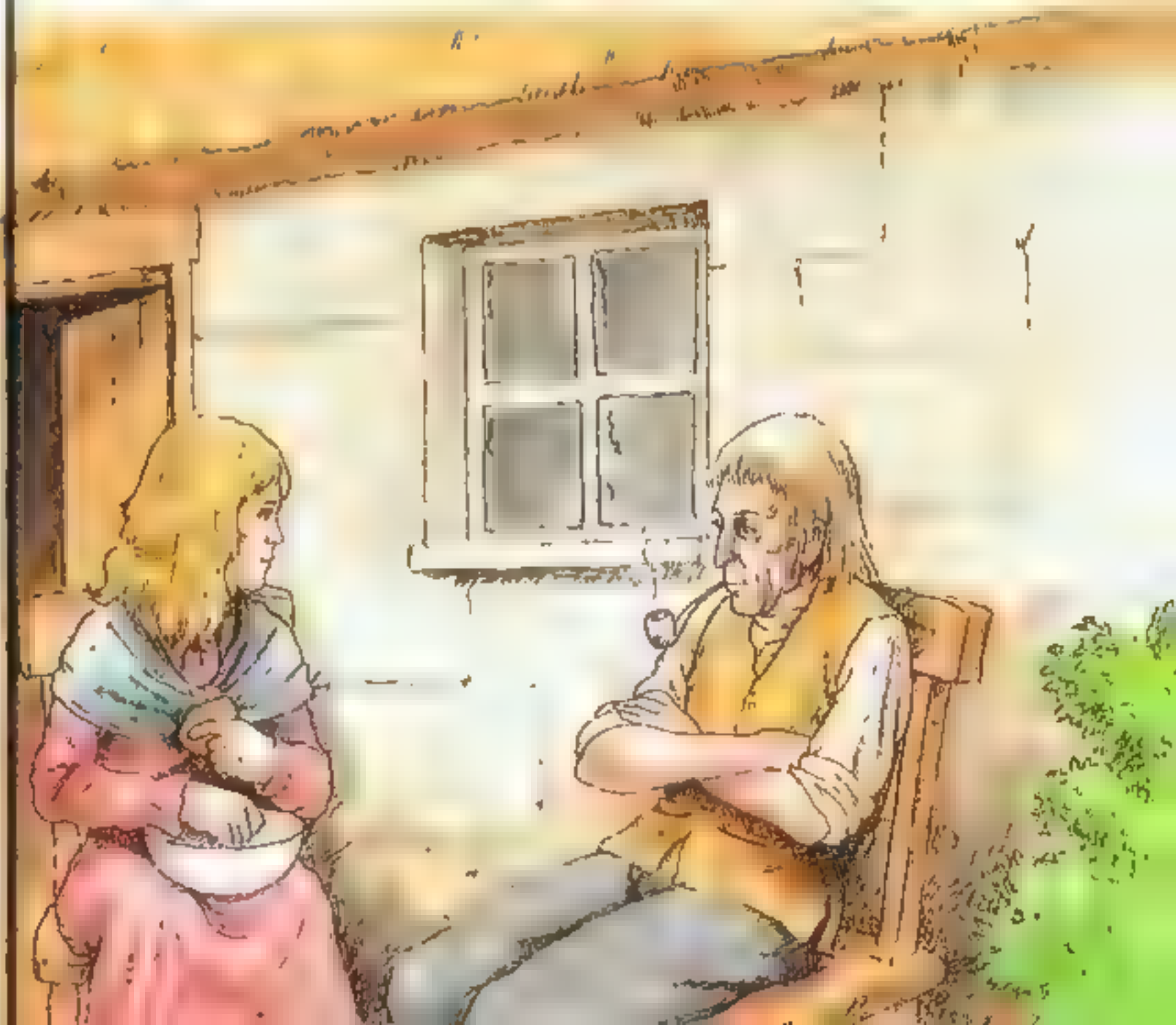
بُعِيدَ الظُّهْرِ جَسَسَ سَائِسٌ وَإِيَّيَ يَتَشَمَّسُ خَارِجَ الْكُوْخِ . وَكَانَ سَائِسٌ يُدْخِلُ عَشِيرَتَهُ . تَحَدَّثَتْ إِيَّيَ عَنِ الْحَدِيقَةِ الَّتِي تَحْلُمُ بِهَا . قَالَتْ إِنَّهَا تُرِيدُ أَنْ يَكُونَ صَرْفُ الْحَدِيقَةِ فِي الْبُقْعَةِ الَّتِي وَقَعَتْ فِيهَا أُمُّهَا وَمَاتَتْ . هُنَاكَ أَرَادَتْ أَنْ تَزْرَعَ أَزْهَارًا رَبِيعِيَّةً . وَقَالَتْ :

«أريدُ أن يكونَ لِلْحَدِيقَةِ سورٌ أيضًا. يا أبي. آرنَ يَجْلُبُ الْحِجَارَةَ
من الْمُنْطَقَةِ الصَّخْرِيَّةِ حَوْلَنَا.» دَهَبَتْ إِلَى صَخْرَةٍ تُحَاوِلُ رَفْعَهَا. وَهَجَاءَ
نَادَتْ سَائِلِسَ، وَقَالَتْ:

«تعالِ انْظُرَا مِياهَ الْخَزَانِ انْهَمَصَتْ كَثِيرًا مِنْذُ الْمَارِحَةِ. كَانَ الْخَزَانُ
أَمْسٍ مُمْتَلِئًا!»

قَالَ سَائِلِسُ: «ذَلِكَ لِأَنَّ السَّيِّدَ غَوِذْفَرِي قَدْ حَوَّلَ الْمِياهَ إِلَى حُقُولِهِ،
سَيَبْدُو هَذَا الْخَزَانُ الْقَدِيمُ غَرِيبًا إِذَا جَفَّ مَائُهُ.»

عَادَ سَائِلِسُ وَابْنَتُهُ فَجَلَسَا. وَبَعْدَ حِينٍ سَأَلَتْهُ أَبِي: «إِذَا تَزَوَّجَتْ، هَلِ
اتَّزَوَّجُ بِخَاتِمِ أُمِّي؟»



جَفَلَ سَائِلِسَ. لَكِنَّهُ أَحْسَنَ أَنَّ أَبِي جَاءَهُ فِي مَا يَقُولُ، فَسَأَلَهَا
بِلُطْفٍ: «لِمَذَا، يَا أَبِي، أَتَفَكِّرِينَ بِالزَّوْاجِ؟»

أَجَابَتْ أَبِي: «نَعَمْ. آرنَ يُريدُ أَنْ يَتَزَوَّجَنِي. لَكِنْ لِمَ نَكُونُ وَحْدَكَ
هَذَا. يَا أَبِي هَذَا مَا قَالَهُ آرنَ يُريدُنَا أَنْ نعيشَ كَمَا مَعًا، فَلَا نَحْتَاجُ
لِي أَنْ تُرْهِقَ نَفْسَكَ بِالْعَمَلِ. سَيَكُونُ لَكَ آرنَ ابْنًا.»

سَأَلَ سَائِلِسَ: «أَتُرِيدِينَ أَنْ تَتَزَوَّجِيهِ؟»

أَجَابَتْ أَبِي: «نَعَمْ. وَلَكِنْ لَا أَعْرِفُ مَتَى.»

قَالَ سَائِلِسُ: «أَنْتِ صَغِيرَةٌ عَلَى الزَّوْاجِ. سَنَسْأَلُ السَّيِّدَةَ دُولِي عَنْ
أَيْهَا فِي هَذَا الْأَمْرِ. إِنِّي أَتَقَرَّبُ بِحُكْمَتِهَا أَنَا أريدُ أَنْ أَطْمَئِنَّ عَيْتِكَ. أريدُ
أَنْ يَكُونَ مَعَكَ بَعْدَ مَوْتِي شَخْصٌ قَوِيٌّ يُحِثُّكَ وَيُرْعَاكَ. فَسْأَلِ السَّيِّدَةَ
دُولِي إِنِّهَا تُريدُ الْحَيْرَ لَكَ وَلِأَنْتِهَا.»



فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ عَيْنِهِ كَانَتْ نَأْسِي كَأَنَّ نَجِيسَ بَعْدَ الظُّهْرِ وَحْدَهَا.
وَقَدْ اسْتَعْرِقْتُ فِي تَفَكُّيرٍ غَمِيقٍ. كَانَ زَوْجُهَا غَوْدُفَرِي قَدْ ذَهَبَ لِإِرَاقِبِ
تَحْوِيلِ الْمَيْدِ مِنَ الْخَزَانِ إِلَى خَقْوِيهِ.

كَانَتْ نَأْسِي تَجِيسُ أَمَامَ السَّوْدَةِ تُشَكِّرُ فِي خِيَتِهَا مَعَ غَوْدُفَرِي. فَقَدْ
كَانَتْ أَسْتَهَ الْوَحِيدَةَ مَاتَتْ ضَغْنَةً. كَانَتْ تَجِيسُ أَنَّ وَقَعَ الْمَفْجَعَةُ أَشَدُّ
عَلَى زَوْجِهَا غَوْدُفَرِي. نَعْنَاهُ كَانَ يَرَى أَنَّ عَمَلَهُ نُحْدَةً فِي مُلَاكِهِ الْوَاسِعَةِ
يَكُونُ دَا مَعْنَى لَوْ كَانَ لَهُ وَرِثٌ يَرِثُ هَذِهِ الْأَمْلاكُ مِنْ بَعْدِهِ.

أَرَادَ غَوْدُفَرِي أَنْ يَتَّبِعِي بَيْتِي عِنْدَهُ. كَانَتْ فِي ثِيَابَةٍ عَشْرَةَ مِنْ عُمْرِهِ.
لَكِنْ زَوْجَتُهُ نَأْسِي رَفَضَتْ ذَلِكَ الْفِكْرَةَ رَفْضًا قَاطِعًا. كَانَتْ تَرَى أَنَّ عَلَى
الْإِنْسَانِ أَنْ يَقْبَلَ بِنَصِيهِهِ مِنَ الْحَيَاةِ. وَأَنَّ نَسْغِي إِلَى تَغْيِيرِ مَا قُدِّرَ لِلْمَرْءِ
لَنْ يَجِيبَ عَلَيْهِ إِلَّا السُّعْسَعَةُ. لَقَدْ أُرْسِلَتْ بَيْتِي إِلَى سَائِسِ مَرْزُوقٍ. وَلَا
يَسْغِي أَنْ يَتَدَخَّلَ أَحَدٌ فِيمَا هُوَ مُتَدَبِّرٌ لَهُ يُصْبِحُ غَوْدُفَرِي زَوْجَتُهُ عَلَى
زَوَاجِهِ الْأَوَّلِ. فَلَمَّ تَنَهَّاهُ رَغْبَتُهُ الْمُبِيعَةُ فِي تَبْنِي بَيْتِي.

وَبَيْنَمَا هِيَ تَتَأَمَّلُ الْحُقُولَ الْمُتَشَدَّدَةَ أَمَامَهَا. جَاءَتْ خَدِمَتُهَا مُسْرِعَةً.
وَقَالَتْ: «أَلَمْ تُلَاحِظِي النَّاسَ الَّذِينَ يَمْشُونَ مِنْ هُنَا» إِنَّهُمْ كُنْهَهُ يَسِيرُونَ
فِي اتِّجَاهٍ وَاحِدٍ. وَكَأَنَّ قَدْ وَقَعَ هُنَاكَ حَدِيثٌ.

قَالَتْ نَأْسِي: «أَرْجُو أَلَّا يَكُونَ ثَوْرٌ حَارِبٌ قَدْ أَقْبَتَ مَرَّةً أُخْرَى. لَكِنْ
إِذَا كَانَتْ تَنْتَظِرُ غَوْدُفَرِي أَخَذَ الْتَمَقُ يُسِيرُ وَهُوَ وَضِلَ غَوْدُفَرِي بَعْدَ وَقْتٍ
قَصِيرٍ. فَمَشَتْ نَأْسِي صَوْبَهُ. وَهِيَ تَقُولُ: الْحَمْدُ لِلَّهِ تَعَالَى. لَكِنَّهَا لَمْ



تَكْمِلُ كَلَامَهَا. فَقَدْ رَأَتْ زَوْجَهَا شَاغِبَ الْوَجْهِ يَرْتَعْشُ. وَرَأَتْهُ يَرْمِي
نَفْسَهُ عَلَى كُرْسِيٍّ قَرِيبٍ. فَجَلَسَتْ إِلَى جَانِبِهِ حَائِزَةً مُسَائِلَةً.

قَالَ غَوْدَفُورِي «جِئْتُ عَلَى عَمَلٍ لَأَكُونَ أَوَّلَ مَنْ يَنْقُلُ إِلَيْكَ النَّبَأَ.
صَلَمَةٌ فَظِيْعَةٌ! إِنَّهُ دَاثَنٌ. أَخِي الَّذِي اخْتَمَى قَبْلَ سِتَّةَ عَشَرَ عَامًا.
وَحَدَّثَنَا هَيْكَلُهُ الْعَظِيمِيَّ. الْخَزَائِنُ أَفْرَعْنَا مَاءَهُ. لَا بُدَّ أَنَّهُ كَانَ فِي قَعْرِهِ
ضَوَانٌ هَذِهِ السَّنِينَ. عَرَفْتُ أَنَّهُ هُوَ لِأَنَّا وَجَدْنَا مَعَهُ سَوْطِيَّ ذَا الْمُسْكَةِ
دُهْنِيَّةٍ وَكَذَلِكَ سَاعَتَهُ وَخَاتَمَهُ. لَيْسَ هَذَا فَقَطْ. فَلَا بُدَّ أَنَّهُ هُوَ الَّذِي
سَرَقَ ذَهَبَ الْحَائِكِ. فَقَدْ وَجَدْنَا الذَّهَبَ أَيْضًا هُنَاكَ.»

صَمَتَ غودُفري هُنَيْهَةً. وَقَدْ حَدَّقَ فِي الْأَرْضِ. وَلَمْ تَقُلْ نَانْسِي
شَيْئًا، فَقَدْ شَعَرْتُ أَنَّ عِندَهُ مَا يُرِيدُ أَنْ يَبْرَحَ بِهِ.

«كُلُّ مَا خَفِيَ يَظْهَرُ. يَا نَانْسِي. مَتَى شَاءَ اللَّهُ ذَلِكَ. أَخْفَيْتُ عَنْكَ
طَوَالَ هَذِهِ السَّنِينَ سِرًّا، وَلَنْ أَخْفِيَهُ بَعْدَ الْآنَ عِنْدَ تَزَوُّجِكَ. أَخْفَيْتُ
عَنْكَ أَمْرًا كَانَ مِنْ وَجْهِ أَنْ تُطِيعَ عَلَيْهِ. تَتَى الْمَرْأَةُ الَّتِي وَجَدَهَا
مَارْتَرُ فِي الشَّجَرِ مَيِّتَةً - وَالِيدةَ إِيَّي - تَتَى الْمَرْأَةُ الْبَائِسَةُ الْمِسْكِيَّةُ كَانَتْ
زَوْجَتِي. إِيَّي هِيَ ابْنَتِي.»

عِنْدَمَا تَكَلَّمْتُ نَانْسِي أَخِيرًا لَمْ يَكُنْ فِي صَوْتِهَا غَضَبٌ بَلْ كَانَ فِيهِ
أَسَفٌ عَمِيقٌ. قَالَتْ:

يَا غودُفري. لَوْ كُنْتُ أَخْبَرْتَنِي ذَلِكَ قَبْلَ سِتِّ سَنَوَاتٍ. لَكُنَّا قُمْنَا
بِجَانِبٍ مِنْ وَاجِبٍ تَجِدُهُ الصُّفَّةَ. أَتَضُّ أَلْيَ كُنْتُ سَأَرْفُضُ تَبَيُّهَا لَوْ
عَلِمْتُ أَنَّهَا ابْنَتُكَ؟ وَبِإِيَّتِ كُنَّا أَخَذْنَاهُ مِنْذُ بُدَايَةِ. لَوْ أَخَذْتَهَا. كَمَا
كَانَ يَحْدُرُ بِكَ أَنْ تَفْعَلَ. لَكَانَتْ أَحَبَّتِي مَحَبَّتَهَا لِأُمِّ. وَلَكِنْ حَيَاتُهَا
مَعَ شِدَّةِ سَعَادَةٍ. ثُمَّ سَكَتَتْ. وَقَدْ غَشِيَ الْبُكَاءُ.

قَالَ غودُفري: هَلْ أَطْمَعُ يَوْمًا بِسَمَاجِثٍ؟

أَجَابَتْ: بِسَاءَتْكَ إِلَيَّ صُفِيَّةٌ. فَقَدْ كُنْتُ رَافِقًا لِي صَوَالَ لِسَّنَوَاتٍ
الَّتِي عَشْرَةَ الْمَصِيَّةِ. لَكِنْ بِسَاءَتْكَ لِأُخْرَى بِإِغَّةٍ. وَإِنْ مِنْ وَاجِبِكَ
الْآنَ أَنْ تَعْتَرِفَ بِبَنَاتِكَ إِيَّي وَأَنْ تَكُونَ مَسْئُولًا عَنْ إِعَادَتِهَا. وَسَأَقُوهُ أَنَا
بِمَا يَتَوَخَّضُ عَلَيَّ بِحَدَثِهَا. وَسَأُصَيِّ بِأَيِّ الْمَلِكِ كِي تُحِبَّنِي.

قَالَ غودُفري: «لَذَهَبُ الْبَيْتَةُ إِلَى كُوخِ مَارْتَرِ. حَتَّى تَهْدَأَ الْحَرَكََةُ
حَتَّى حَرَّانِ الْمَاءِ.»

في الساعة الثامنة من تلك الليلة كان سائلس وإبي يجلسان وحيدتين في الكوخ. كان الذهب بينهما على الطاولة. وكنا يتحدثان عن الأحداث الغريبة التي انتهت بعودة الذهب إلى صاحبه.

قال سائلس: «يا صفتي الغالية، لو لم يرسلك الله إلي لكتُّ متُّ بائساً بائساً. لقد أخذ مني المال في ذلك لحين. وكما ترى أعيد إلي حين صرْتُ أحتاجه لك ما أجمل ذلك: الحياة حوّة. والله كريم!»

في هذه اللحظة وصل السيد غودفري كاس وزوجته. فأسرعت إبي ترحب بهما وفتحت الباب على آخيه.





قال غودفري: «إنه لعزاءٌ لي. يا سيّد مارنر، أن أرى مالك قد عادَ إليك. إذ إن من حرمك منه كان واحداً من أفراد أسرتي. إنّي مدينٌ لك أيضاً في غير ذلك.»

«أنا أيضاً مدينٌ لك بالكثير. يا سيّدي. أما الشرقة. فلا أُعتبر أنّها كانت حسارة. وأنت. على أيّ حالٍ. لا جريرةٌ لك فيها.»

قال غودفري بعد ترّدٍ: «أُحسنت رِعايةً بيّ في السّتّ عشرة سنة المضيّة. لكنّ ألا ترغبُ في أن تراها في رِعاية أسرة غنيّة نبيّة تُعدّها لمستقبل حياتها أحسن إعدادٍ وتوريثها مالا كثيراً؟ ماذا يَستظرّها. عندما تشيخُ أنت. غير الفقير والشقاء؟»

أحسن سائس بضيقٍ شديد. وقال: «ماذا تعني، يا سيّدي؟»

قال غودفري: «ما أغنييه هو أنا. أما وزوجتي. ليس لنا أولاد. وأنا
لنرغب رغبة صادقة أن تعيش أبي مع ابنتي لنا. ستحبك أبي دائماً وتأتي
إلى زيارتك وسنعمل كل ما في وسعنا لتعيش حياة مريحة».

قال سايلس: «أبي. يا ابنتي. تكلمي. لن أقف في طريقك».
«شكراً لك يا سيدي. شكراً لك يا سيدي. لكني لا أستطيع أن
أترك أبي. وأنا لا أريد أن أكون سيّدة عيّنة نيسة. شكراً لكما على أي
حال».

كان غودفري قد أحسّ بالضيق يزحف على صدره. فالأمور لا
تجري على ما كان يشتهي قال: «لكن لي حقاً مشروعاً. يا أبي
مارنر. إن من واجبي. يا مارنر. أن أطلب أبي ابنتي لي وأن أرهاها.
إنها ابنتي أنا. أمها كانت زوجتي».

كان لذلك السبق وقع شديد. فقد أخذت أبي ترتعش. أما مارنر فقد
قال بمرارة: «إذا. إنه لم يطلب بها. يا سيدي. قبل ستة عشر عاماً.
قبل أن أتعلق بها. إذا أنكر أمرو نعمته تأتي إلى بابها أنها تصبح من حق
أولئك الذين يتعهدونها. لقد دعّني دائماً أباه. فهل ترى الآن أن
تفصلها عني؟ لكني لن أزيد على ما قلت. أترك لأبي أن يقرر. وأنا
سألزم بقرارها» فقالت ناسي بصوتها الرقيق: «يا عزيزتي. ستكونين
كثري. لا نطمح إلا أن تكون ابنتنا معنا».

أسرعت أبي. وهي على شفا الدموع. تقول: «لا أقدر أن أشعر
أن لي أباً غير الأب الذي عرفته طوال عمري. ولقد وعدت أن أتزوج
شاباً عاملاً سيعيش معاً ويعينني على أن أربي أبي في شيخوخته».

فِي ضَوْءِ اشْجُورٍ مَشَى غُوْدْفَرِي وَنَاسِي صَوَّبَ أَيْتَ بِصُمْتُ.
وَعِنْدَهَا دَحَلًا مَرَّأَتُهَا التَّمْسِيحَ رَمَى غُوْدْفَرِي نَفْسَهُ عَلَى كُرْسِيِّهِ. فَتَقَرَّبَتْ
مِنْهُ نَاسِي. وَأَمْسَكَتْ يَدَهُ. وَقَالَتْ لَهُ:

«هَذَا هُوَ آخِرُ الْمُصَافِ».

أَجَابَ غُوْدْفَرِي: نَعَمْ أَضُنُّ أَنَّ عَيْنَ أَنْ تَقْطَعَ الْأَمَلَ مِنْ أَنْ نَأْخُذَهَا
إِبْنَةً لَهَا. ثُمَّ قَالَ بِصَوْتٍ خَمِيزٍ: «إِنَّ مِنَ الدُّبُونِ مَا لَا تُسَدِّدُهُ، كَمَا
يُسَدِّدُ دَيْئُ الْمَالِ. بَلَّ تَدْفَعُ زِيَادَةً تُعَوِّضُ عَنِ السَّيْنِ أَنِّي انْقَضَتْ. إِنْ
مَارَرْتُ مُجِئًا فِيمَا قَالَهُ عَنِ النِّعْمَةِ الَّتِي يَصُدُّهَا الْمَرْءُ عَنْ بَابِهِ. رَدَّتْ يَوْمًا
أَنْ أَتَّضَهَّرَ أَنِّي بَلَا وَلَدٍ. وَالْيَوْمَ بَلَا وَلَدٍ عَلَيَّ غَيْرِ إِرَادَتِي. عَلِمًا أَنَّ
عَلَيَّ أَنْ أَسْعَى. كُلُّ مَا فِي وَسْعِي. لِإِسْعَادِهَا عَلَى السَّحْرِ الَّتِي تُرِيدُهُ.
أَلَيْسَتْ مَحْصُونَةٌ بِأَيِّ آتَانٍ وَشَرْبٍ. رَأَيْتُهُمْ مَعَ مَرَاتٍ».

قَالَتْ نَاسِي: نَعَمْ. إِنَّهُ شَبُّ خَدِيقٍ وَنَشِيطٌ».

قَالَ غُوْدْفَرِي: إِنَّهَا جَمِيلَةٌ. أَلَيْسَ كَذَلِكَ؟ لَكِنَّهَا لَا تُحِبُّنِي. تَضُّ أُنِّي
أَسَاتُ إِلَى قُبَّهَا وَأَسَاتُ إِلَيْهَا. إِنَّهَا تُرِنِي شَوْأً مِمَّا لَا حَقَّ. لَنْ تَعْرِفَ
حَقِيقَةَ مَا شَعَرْتُ بِهِ وَمَا أَشْعُرُ. وَفِي هَذَا قِصَاصٍ لِي. لَمْ أَكُنْ لِأَقَعَ بِكُلِّ
هَذِهِ الْمَكْرِهِ لَوْ كُنْتُ صَادِقًا مَعَكَ. لَمْ يَكُنْ زَوَاحِي الْخَفِيِّ يَجْرُ عَنِّي
غَيْرَ الشَّرِّ. وَوُعِلْتُ فِي الشَّرِّ حِينَ تَخَلَّيْتُ عَنْ وَاجِبِي الْأَبَوِيِّ».

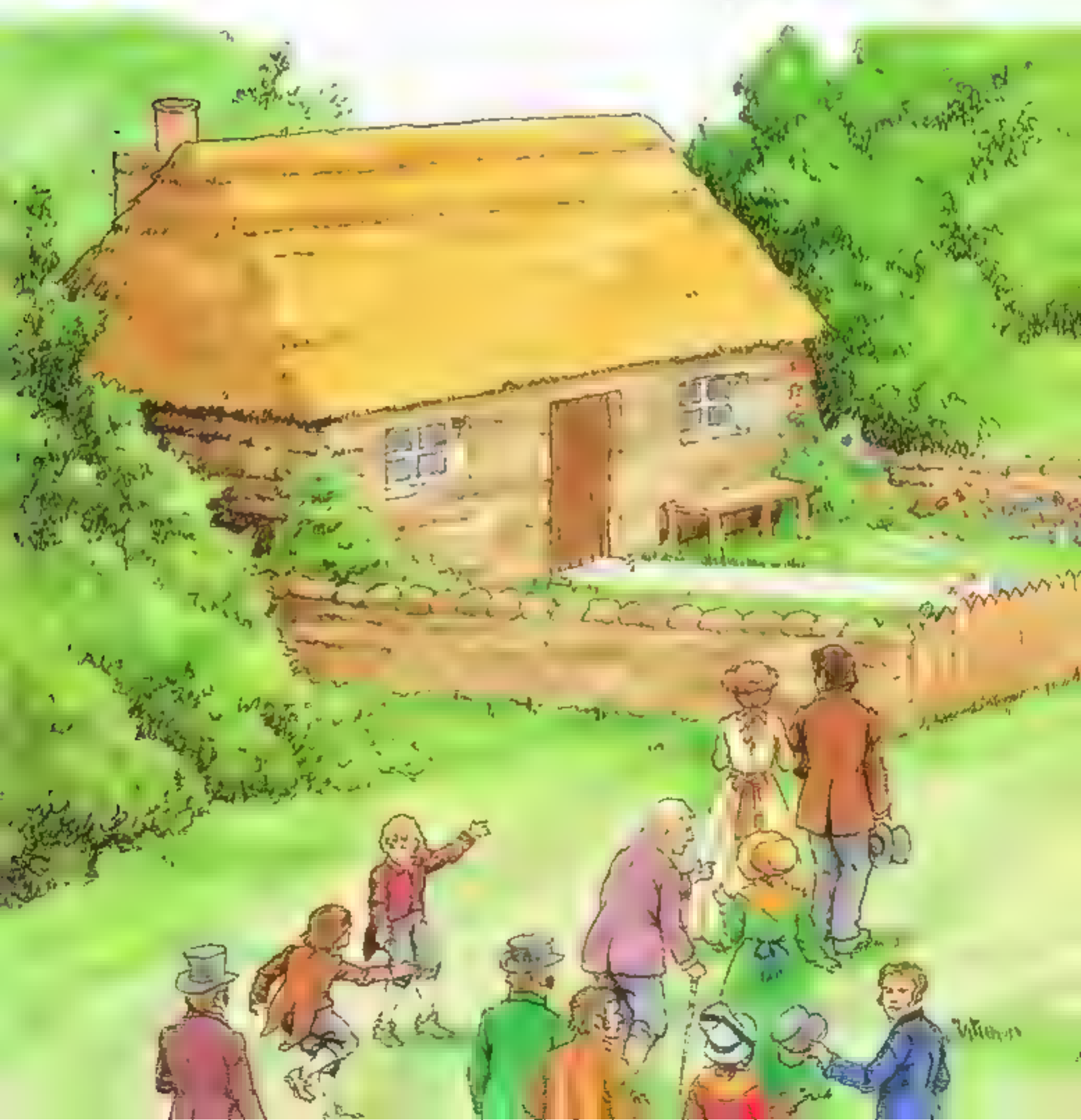
ظَلَّتْ نَاسِي سَاكِتَةً. فَقَدْ كُنْتَ نَعَمًا نَعَمًا مُجِئًا فِيمَا يَقُولُ. ثُمَّ تَابَعَ
غُوْدْفَرِي كَلَامَهُ. وَقَالَ بِصَوْتٍ أَصْفٍ: «أَنْتِ مَعِي. يَا نَاسِي! عَلَيَّ
الرُّغْمُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ أَنْتِ مَعِي».

أَرَادَ سَابِلُسُ أَنْ يَأْخُذَ بِسَيِّئِهِ، قَتَلَ أَنْ تَتَرَوَّحَ. إِلَى الْمَدِينَةِ الَّتِي حَرَجَ
مَعَهَا فِي مَطْعٍ تَسْمُوهُمُ سَرَقَةُ الْمَالِ. كَانَ يُرِيدُ أَنْ يُحَدِّثَ أُولَئِكَ
الَّذِينَ اتَّهَمُوهُ طَعْمًا لِيَقُولَ لَهُمْ إِنَّهُ غَفَرَ لَهُمْ فِعْلَتَهُمْ. وَإِنْ ثَقَنَهُ سَيِّئُ الْبَشَرِ
قَدْ عَادَتْ إِلَيْهِ. وَكَانَ يَأْمُلُ، بَعْدَ هَذِهِ السَّيِّئَةِ الطَّوِيلَةِ. أَنْ تَكُونَ بَرَاءَتُهُ
قَدْ ظَهَرَتْ. مِثْلَمَا انْكَشَفَ أَمْرُ السَّارِقِ الَّذِي سَطَا عَلَى دَهَبِهِ. وَصَلَ
سَابِلُسُ وَإِبِي إِلَى الْمَدِينَةِ، فَإِذَا هِيَ قَدْ تَغَيَّرَتْ. لَمْ يَجِدْ مَبْنَى الْجَمْعِيَّةِ
الْحَيَرِيَّةِ الَّتِي كَانَ يُسَمِّي إِلَيْهِ. اخْتَفَى الْمَسِيُّ وَحَلَّ مَحَلَّهُ مَطْعٌ صَحْمٌ.
لَمْ يَبْقَ هُنَاكَ أَثَرٌ يُذَكِّرُ بِأُولَئِكَ الَّذِينَ عَرَفَهُمْ سَابِلُسُ فِي مَاضِيهِ الْغَابِرِ.



فِي الرَّبِيعِ تَزَوَّجْتُ أَبِي مِنْ آدَمَ. وَعَدْتَنَا مَعَ سَائِسٍ فِي كَوْنِجِه
الْقَرِيبِ مِنْ خَزَانِ لُجِيهِ وَأَكْمَلَ آدَمَ الْحَدِيثَةَ الَّتِي وَعَدَ بِهِ. فَكَانَ لَهَا
سُورٌ حَجَرِيٌّ مِنَ الْحَجَرَيْنِ. أَمَّا الْوَاجِهُهُ فَكَانَ بِسَاجِهُهُ مَفْتُوحًا. فَإِذَا مَرَّ
أَحَدٌ مِنْ هُنَاكَ رَأَى الْأَزْهَارَ تَشْرِيبُ بِأَعْدَقِهَا.

وَكُنْتُ أَبِي تَقُولُ لِأَبِيهِ دَائِمًا: «مَا أَجْمَلُ بَيْتَنَا يَا أَبِي! لَا أَحْسَبُ
أَنْ أَحَدًا أَسْعَدُ مِنِّي!»





المؤلفة

إنَّ بَيْنَ الْمَلَامِحِ الْعَامَّةِ فِي حَيَاةِ الْمُؤَلِّفَةِ جُورْجِ إلبوت وَحَيَاةِ سَائِلَسْ مارنر، وَجُودَ شَبِّهِ قَوِيَّةٍ. فَهِيَ أَيْضًا عَانَتْ مِنْ شُكُوكٍ كَانَتْ تُسَاوِرُهَا فِي مَا حَوْلَهَا مِنْ مُؤَسَّسَاتٍ وَمُعْتَقَدَاتٍ.

وُلِدَتْ فِي الْعَامِ ١٨١٩، وَكَانَ اسْمُهَا الْحَقِيقِيُّ مَارِي آن إيفانز. بَرَعَتْ فِي الْمَدْرَسَةِ وَدَرَسَتْ الْفَرَنْسِيَّةَ وَالْأَلْمَانِيَّةَ وَالْمُوسِيقَى. وَعِنْدَمَا اضْطَرَّتْ فِي الْعَامِ ١٨٣٦ إِلَى تَرْكِ الْمَدْرَسَةِ بَعْدَ وَفَاةِ أُمِّهَا، فَإِنَّهَا تَابَعَتْ دِرَاسَتَهَا عَلَى نَفْسِهَا وَقَرَأَتْ الْإِيطَالِيَّةَ وَالْيُونَانِيَّةَ وَاللَّاتِينِيَّةَ، بِالإِضَافَةِ إِلَى مُتَابَعَتِهَا دِرَاسَةَ الْأَلْمَانِيَّةِ وَالْفَرَنْسِيَّةِ.

إِنْتَقَلَتْ مَارِي آن بَعْدَ وَفَاةِ وَالِدِهَا إِلَى لَنْدُنْ. وَهُنَاكَ أُتِيحَ لَهَا أَنْ تَتَعَرَّفَ إِلَى أَشْهَرِ أَدْبَاءِ عَصْرِهَا. وَقَدْ شَجَّعَهَا ذَلِكَ عَلَى أَنْ تَشْرَعَ بِالْكِتَابَةِ، فَنَشَرَتْ أَوَّلَ كِتَابٍ لَهَا فِي الْعَامِ ١٨٥٦، وَكَانَ بِعُنْوَانِ

Scenes from a Clerical Life. وقد تَبِعَ ذَلِكَ عَدَدٌ مِنَ الْمُؤَلَّفَاتِ
 على مَدَى عِشْرِينَ عَامًا. مِنْ مُؤَلَّفَاتِهَا Adam Bede و The Mill on
 the Floss. وَلَعَلَّ أَشْهَرَ مُؤَلَّفَاتِهَا كِتَابُ Middlemarch الَّذِي نَشَرَتْهُ
 فِي الْعَامِ ١٨٧١. وَكِتَابُ Silas Marner (سَائِلَس مَارْنَر) الَّذِي نَشَرَتْهُ
 فِي الْعَامِ ١٨٦٠ وَنُقِدَّمَةُ الْيَوْمَ إِلَى الْقَارِئِ الْعَرَبِيِّ. لَقَدْ اخْتَارَتْ مَارِي أَنْ
 أَنْ تَنْشُرَ كُتُبَهَا دَائِمًا بِاسْمِ جَوْجِ إِيْلُوت، وَبِهَذَا الْإِسْمِ الْمُسْتَعَارِ
 عُرِفَتْ فِي عَالَمِ الْأَدَبِ. وَفِي الْعَامِ ١٨٨٠ تُوَفِّيتْ.



كتب الفراشة - القصص العالمية

- ١ - الدكتور جيكل ومستر هايد
- ٢ - أوليفر ثويست
- ٣ - نداء البراري
- ٤ - موبي دك
- ٥ - البحار
- ٦ - المخطوف
- ٧ - شبح باسكرفيل
- ٨ - قصة مدينتين
- ٩ - مونفليت
- ١٠ - الشباب
- ١١ - عودة المواطن
- ١٢ - الفندق الكبير
- ١٣ - حوّل العالم في ثمانين يوماً
- ١٤ - رحلة إلى قلب الأرض
- ١٥ - كنوز الملك سليمان
- ١٦ - سايلس مارنر
- ١٧ - شيرلي
- ١٨ - رحلات غاليفر
- ١٩ - بعيداً عن صخب الناس
- ٢٠ - مغامرات هاكلبري فين
- ٢١ - ديفيد كوبرفيلد
- ٢٢ - البيت الموحش (بليك هاوس)
- ٢٣ - المهر الأسود (بلاك بيوتي)
- ٢٤ - جين إير
- ٢٥ - روبنسون كروزو
- ٢٦ - جزيرة الكنز
- ٢٧ - مرتفعات وذرنع
- ٢٨ - الأمير والفقير
- ٢٩ - توم براون في المدرسة



كتب الفراشة

القِصص العالمية ١٦. سائلس مازنر

تشدد المؤلفة في هذا الكتاب على الصّلات الحميمة بين أفراد الأسرة الواحدة، وعلى أهمية هذه الصّلات في تحقيق سعادة البشر. لقد استعاد سائلس عبر الابنة الصغيرة ثقته بالناس وحبّه للحياة. إنّ للصّلات العائلية قوّة تُغيّر حياة البشر. وهذه القوّة التي تبرزها المؤلفة في كتابها أعظم إبراز، أسهمت في إعطائه طابعه العالميّ المميّز. سنحبّ جميعًا، كبارًا وصغارًا، حبكة هذا الكتاب المشوّق، وشخصيّاته الإنسانيّة وما يتقلّب عليها من قوّة وضعف.



مكتبة لبنات ناشرون



01C196820